

حسن الإجابة في الذّب عن الصحابة

رضي الله تعالى عنهم

دراسة نقدية لقصة الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب رضي الله تعالى عنه



فاروق السيد علي أحمد الهاشمي

حسن الإجابة
في
الذب عن الصحابة

رضي الله تعالى عنهم

دراسة نقدية لقصة الصحابى الجليل
ثعلبة بن حاطب رضى الله تعالى عنه

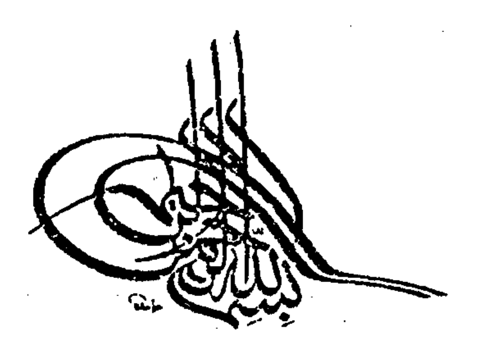
تأليف/ فاروق السيد علي أحمد الهاشمي

إمام وخطيب مسجد أبوقبة
وغيره بعدن سابقا

بسم الله الرحمن الرحيم

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً.

صدق الله العظيم



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة

القسم الثاني : ويشتمل على النقطتين الثالثة والرابعة

النقطة الثالثة

التوبة :

النقطة الرابع

معاملة الناس جميعا بظواهرهم ، وتفويض سرائرهم إلى الله تعالى

الخاتمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي هيأ في كل عصر من يدافع عن أوليائه ، وهو خير من يدافع عنهم ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ ولعمري إنه لايوجد بعد الصحابة رضي الله عنهم من هو أكثر إيمانا منهم ، وأولى بالدفاع من الله عنهم .

ولعمري إنه من ينال تزكية الله له والدفاع عنه لايضره ولاينقص من قدره مناطحة مناطح وإنما يضر نفسه ، كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها وأوهي قرنه الوعل

تزكية الله للصحابة :

لقد زكى الله جميع صحابة رسول الله ﷺ باختيارهم لصحبة سيد الرسل وخاتمهم ، وحمل خير الرسالات ، وخاتمتها ، وإبلاغها لمن بعدهم بقوة وأمانة ، وزكاهم قولا بآيات كثيرة مبثوثة في ثنايا هذا الكتاب الذي نقدم له ، نكتفي بذكر بعض منها .

يقول الله سبحانه وتعالى واصفا رسوله وجميع أصحابه الذي كانوا معه﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيماً ﴾ .

ومجموع من كان مع رسول الله حين نزول الآية لايقبل اختصارا ، ولااستثناء أحد منهم ، لاسيما وقد جاءت هذه الآية بعد سلسلة من الآيات التي تزكيهم وتبشرهم برضى الله عنهم في السورة نفسها "سورة الفتح" ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ﴾ .

وكانوا ألفا وأربعمائة في الحديبية ، ولم ينكث منهم أحد ، ولذلك استحقوا رضى الله

ونزول السكينة عليهم والثواب العظيم كما في الآية الأخرى ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا** ﴾ .

ومن رضى الرسول ﷺ عنهم ، بشارته لهم بالجنة وتحذيره من الوقوع في كراهيتهم أو سبهم .

لقد لحق الرسول بالرفيق الأعلى وهو راضٍ عن جميع الصحابة الذين آمنوا معه وهاجروا وجاهدوا في الله حق جهاده والذين آووه ونصروه بأموالهم وديارهم وجهادهم ، ومن لحق بهم قبل الفتح وبعده ، ففضل الصحبة والجهاد لايفوتهم . وبشر الكثيرين منهم بالجنة ، وحذر تحذيرا شديدا من إيذائهم .

وفي ذلك أحاديث كثيرة مبثوثة في دواوين السنة المطهرة ، ومنها الكثير في ثنايا هذا الكتاب الذي نقدم له .

أحاديث كثيرة في جمعهم ، وأخرى تبين فضائل أفرادهم ، لامجال لسردها هنا ، وستجدها أخي القارىء الكريم عند قراءتك لهذا الكتاب ، وغيره من الكتب التي اهتمت بجمع فضائل الصحابة ، والدفاع عنهم .

الأخوة فيما بينهم ومحبة بعضهم لبعض :

لم يوجد جيل على مر التاريخ البشري مثل جيل الصحابة رضي الله عنهم ، بكل صفاتهم ، منها التراحم فيما بينهم (رحماء بينهم) ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم**﴾ (المائدة / ٥٤) .

كان يعطف بعضهم على بعض ، ويقدم بعضهم بعضا ، ويؤثره على نفسه ، يعطف الأمير منهم على المأمور ، ويطيع المأمور الأمير تعبدا ، ولم يجد الهوى إلى أنفسهم سبيلا ، ولا الدنيا مدخلا لغوايتهم أو فتنتهم ، كانوا كذلك على عهد رسول الله ﷺ واستمروا على ذلك حتى لقوا الله مرضيا عنهم ، كما قد بشرهم الله بذلك ورسوله ، وكما شهد لهم

الثقات بحسن الأعمال ومضاعفتها .

الطعن في الصحابة طعن في الرسول والرسالة :

لقد وقع قوم في الطعن بالصحابة بأشخاصهم بإيمانهم ، بسلوكهم ، بالعلاقة فيما بينهم ... تجشموا شقاء ومشقة الخصومة والشهادة والحكم على الصحابة خصومة فاجرة ، وشهادات مزورة ، وأحكام جائرة ! ما كان لهم أن يقعوا في ذلك لولا إغواء إبليس لهم وجرهم إلى هذه المتاهة الخطيرة ، تفوهت بذلك ألسنة ، وكتبت كتب احتوت منكرات من القول في الصحابة وزورا .

ولاشك أن ذلك طعن في الرسول والرسالة ؟! طعن في الرسول حيث يتهم بتهم مباشرة بأنه فشل في تربيتهم ، وجهل صفاتهم واعتمد على من لايجوز الإعتماد عليه ، وشهد وزكى من لايستحق الشهادة ولا التزكية .

وطعن في الرسالة التي إحتوى بلاغها وعقائدها ، وشرائعها كتاب الله عز وجل "القرآن" الذي حملوه هم إلينا ولم يصلنا إلا عن طريقهم والسنة النبوية كذلك . فهدم صفاتهم الإيمانية والجهادية والعدالة ... هدم لعصمة المصطفى ﷺ وعصمة كتاب الله من التحريف والنقص ، وتكذيب لقوله تعالى :﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ . ولكل الآيات التي زكت رسول الله وأصحابه ، وذلك لعمري غاية الشقاء ، ومناطحة وعل لجبل .

دفاع المؤمنين الغيورين عن جيل الصحابة :

لم يخل عصر من العصور من مدافع بل مدافعين عن ذلك الجيل الفريد المعظم المبجل فكم من الكتب التي ألفت في الصحابة جماعات ووحدانا بدآ ذلك منذ بدء النظر والقول المنحرف في الصحابة . انبرى في كل جيل غيورون بينوا وفندوا وذبوا عن الصحابة الكرام ، ولايحتاجون إلى ذلك ، ولكن خوفا على أبناء المسلمين من أن تنطلي عليهم الأكاذيب .

وآخر من وفق للكتابة في ذلك - في حدود علمي - الأستاذ الفاضل / فاروق السيد علي أحمد ، في كتابه هذا الذي أسماه "حسن الإجابة في الذب عن الصحابة" .

لقد تصفحت الكتاب بالجملة ، فوجدته من خير ماكتب في هذا ، في الذب عن الصحابة عامة ، والتركيز على الصحابي الجليل المظلوم ثعلبة بن حاطب الذي لفقت له قصة مكذوبة لا أصل ولاسند لها ، وحقيقة هذا الصحابي أنه من كرام الصحابة ، شهدا بدرا ، والبدريون لهم منزلة خاصة لم يبلغها أحد بعدهم ولعل الله قد غفر لهم جميعا بشهادة رسول الله الذي لاينطق عن الهوى .

لقد وفق مؤلف هذا الكتاب توفيقا كبيرا في اختياره ، وفي أسلوبه ، وفي حشد الأدلة ووضعها في أماكنها ، نسأل الله لنا وله المزيد من التوفيق والقبول ، والمزيد من الأعمال الصالحة النافعة .

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

بقلم الدكتور / غالب عبدالكافي القرشي

وزير الأوقاف والإرشاد

المدرس في كلية الشريعة والقانون - جامعة صنعاء

ليلة الثالث والعشرين من رمضان ١٤١٧هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه وخلفائه الراشدين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :

فهذا كتاب "حسن الإجابة في الذب عن الصحابة" وبعبارة أخص «دراسة نقدية لقصة الصحابي الجليل ثعلبة ابن حاطب رضي الله عنه» ، ولعمري أنه قد قام بما يجب عليه نحو صحب الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم عموما ونحو الصحابي المظلوم المفترى عليه ثعلبة بن حاطب .

فهذا كتاب صغير الحجم ولكنه كبير في منفعته كثير في فوائده لايستغني عنه العالم المنتهي ، كما أنه يحتاج اليه الطالب المبتدى ، وذلك لما قد اشتهر في بعض كتب التفسير واشتهر أيضا عند كثير من الخطباء والوعاظ ، ولاسيما خطباء المساجد الذين يخطبون في جمع شهر رمضان الكريم في آكثر الجمع وفي كثير من المساجد ويسردون قصة ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه ، كما وجدت في بعض الكتب ولا يبحثون عن صحتها من ناحية السند أولا ثم من ناحية المتن .

ولهذا فقد تصدى مؤلف هذا الكتاب فضيلة ولدي الشيخ / فاروق السيد علي أحمد من علماء عدن زاد الله في الشباب من أمثاله ، وفي علماء العصر المجدين العاملين من نظرائه .

وهذا الكتاب لايحتاج إلى تقديم مني ، وإنما فوائده التي احتوى الكتاب عليها ستقدم نفسها وأبحاثه القيمة أكبربرهان على أن هذا الكتاب لايحتاج إلى من يقرظه أو يقدمه .

هذا رأيي ، والله ولي الهداية والتوفيق ، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

محمد بن إسماعيل العمراني

الأستاذ في قسم الدراسات العليا بالمعهد

العالي للقضاء ، وبجامعة الإيمان بصنعاء

شهر رمضان المبارك ١٤١٧هـ الموافق يناير ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله والصلاة والسلام على عباده الذين أصطفى .

وبعد :

فقد اطلعت على كتاب الأستاذ / فاروق السيد علي أحمد المسمى بـ "حسن الإجابة في الذب عن الصحابة" من علماء اليمن - عدن .

وقد قام المؤلف بجهد طيب ومبذول مابين تحقيق وتدقيق وتعليق ونقل عن علماء الإسلام وتتبع جاد للمصادر وتوضيح للمسائل وخاصة فيما يتعلق بالصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب .

وهو بحث قيم يضم إلى المكتبة الإسلامية ودفاع رائع عن الصحابة الكرام ، فجزى الله مؤلفه على ذلك خير الجزاء .

والحمدلله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفقير إلى الله

عبدالرحمن عبدالقادر المعلمي

صنعاء - الأحد ٢ شوال ١٤١٧هـ

الموافق ٩ / ٢ / ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فقد اطلعت على المؤلف القيم "حسن الإجابة في الذب عن الصحابة" للأستاذ / فاروق السيد علي أحمد ، وتشرفت وتبركت بقراءة النصوص القرآنية والنبوية التي حفل بها المؤلف ، والتي حرص المؤلف عند انتقائها وحسن تبويبها وترتيبها على أن تؤدي الغرض المطلوب ، وهو تعريف القارىء بحقيقة ذلك الجيل العظيم جيل الصحابة رضي الله عنهم ومالهم من حق وفضل وسابقة على الأمة بأسرها في مختلف العصور ، وأنهم خير تجمع بشري عرفته الأرض فيما عدا الأنبياء والمرسلين.

كما أنهم – بحق – كانوا هم المؤسسون – إن صح التعبير – لكيان هذه الأمة ، تحت قيادة الرسول ﷺ ، والتي هي خير أمة أخرجت للناس ، وكانوا هم الحفظة للنور المبين المتمثل في الوحيين الذي تلقوه عن الرسول ﷺ ، وقاموا بتطبيقه والتفاني في تحويله إلى واقع عملي ، ثم نشره والجهاد في تبليغه ونقله بأمانة للعالمين ، سواء للأمم المعاصرة لهم أم للأجيال البشرية اللاحقة إلى يوم الدين .

ولقد أدرك المؤلف – جزاه الله خيرا – أهمية هذا الموضوع في هذا العصر الذي غلب فيه التواصل والتداخل ، وأصيب فيه حتى بعض الدعاة إلى الله بالغفلة والتساهل عن بعض الأمور الهامة ذات الصلة بالعقيدة ، ومنها موضوع الصحابة رضي الله عنهم ، فأصبحت بعض الإعتبارات السياسية والإجتهادات السطحية تدفعهم إلى الملاينة والتغاضي عن التيار الحاقد المنظم المعادي لصفوة أولياء الله ، وهم الصحابة الكرام صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام .

هذا التيار الذي أصبحت وراءه دولة كبيرة وأحزاب منتشرة تبث سمومها ضد ذلك الجيل

القمة ، وهي ملاينة في غير محلها ، لأن محاولة تدمير ذلك الجيل معناها ببساطة محاولة تدمير الكتاب والسنة والفهم الصحيح لهما ، أي محاولة تدمير الإسلام ذاته ، ولاإسلام مقبولا عند الله تبارك وتعالى إلا إسلام أولئك الأصحاب رضي الله عنهم ، وفهمهم وحدهم للكتاب والسنة في الجملة وإلا إسلام من اتبعهم بإحسان إلى يوم القيامة بحيث إلتزم فهمهم وطريقة إسلامهم ، قال تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، ذلك الفوز العظيم** ﴾ الآية ١٠٠ من سورة التوبة .

فهل يدرك الملاينون في أي شيء يلاينون ؟ وفي أي أساس يداهنون ويهادنون ويتساهلون ؟ !

إن المؤلف - جزاه الله خيرا - قد أحسن الذب والدفاع عن صحابة رسول الله ﷺ لأن مادة دفاعه كانت من كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكل حجة أمام كلام الله وكلام رسوله ﷺ فهي حجة داحضة ساقطة لابقاء لها .

وإني وإن كنت لم أتعرف على المؤلف بعد ، فلقد تعرفت عليه من خلال الكتاب ، وأسأل الله أن يعظم له الأجر فيما كتب ويجزل له المثوبة ، وأن يجعلنا من الإخوان المتحابين فيه سبحانه المحبين لأوليائه ، وأن يجعلنا من حزب محمد وصحبه ، وأن يحشرنا في زمرتهم ، والحمدلله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

محمد الصادق مغلس المراني

قاض في وزارة العدل

ومدرس في جامعة الإيمان

صنعاء غرة شعبان ١٤١٨هـ

الموافق أول ديسمبر ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد الله أبتدىء ، وإياه أستعين ، وأستهدي ، وهو ولي عصمتي من الزلل ، في القول والعمل ، وولي توفيقي ، لاشريك له ، ولاحول ولاقوة إلا به .

الحمدلله رب العالمين ، جامع الأولين والآخرين ، ليوم الفصل والدين . حمدا يوجب رضاه ، ويقتضي المزيد من فضله ونعماه ، وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة ، وهادي الأمة ، وخاتم النبوة ، ورسوله وصفيه وخليله ، أكرم به عبدا وسيدا ، وأعظم به حبيبا مؤيدا ، فما أزكاه أصلا ومحتدا ، وأطهره مضجعا ومولدا ، وأكرمه أصحابا كانوا نجوم الإهتداء وأئمة الإقتداء ، صلى الله عليه وعليهم وآله صلاة خالدة وسلاما مؤبدا(١) .

أما بعد :

إن الأمة المحمدية لهي خير الأمم بشهادة الله تعالى لها في كتابه الكريم ، قال تعالى :
﴿ كُنتم خيرَ أمّةٍ أخرجَتْ للنّاسِ تأمُرُونَ بالمعرُوفِ وتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤمِنُونَ باللهِ ﴾(٢) .

وأفضل الأمة وسادتها هم أصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم أول داخل في هذا الخطاب ، وكذلك جميع الآيات والأحاديث التي ورد فيها مدح المؤمنين ، لأن الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – هم الأولون السابقون الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وآزروه ونصروه ، فاستحقوا بذلك الرضا من الله تعالى والثناء الحسن . ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله تعالى وادخرهم من الأزل لصحبة رسوله ﷺ ونصرته ، الذين حملوا معه الرسالة الخاتمة الخالدة وكانوا أصدق أعوانه على تبليغها إلى الناس أجمعين .

---

(١) الإستيعاب والإصابة : ٢/١ .
(٢) آل عمران / ١١٠ .

وقد ثبتت عدالة جميع الصحابة بالكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وورد نهي شديد في الكتاب والسنة عن سبهم وأذاهم ، ووعيد أشد على بغضهم وانتقاصهم ، لأن الصحابة هم حملة شرع الله تعالى وناقلوه إلى من بعدهم ، فالقدح فيهم قدح في الكتاب والسنة .

ولهذا تقرر لدى علماء المسلمين أن سب أحد من الصحابة أو انتقاصه من أكبر الكبائر وأفجر الفجور .

ومن ثم كان الدفاع عن كل صحابي ، ودرء كل ماقد ينسب إليه ظلما وعدوانا من المطاعن والمثالب من أهم المهمات وأوجب الواجبات . وما أجدر بنا أن نستحضر في هذا المقام الآية الكريمة التي ذكرناها قبل قليل ، فإن سب الصحابي أو انتقاصه منكر كما أسلفنا الإشارة إليه ، وأي منكر أفظع وأبشع وأشنع من ذلك ، فيجب على المسلم النهي عنه متى ماوجد .

كيف وقد تولى الله تعالى نفسه ، وكذلك رسوله ﷺ الدفاع عن الصحابة والرد العنيف على منتقصيهم والمسيئين إليهم .

فالدفاع عن الصحابة ثابت بالكتاب والسنة ، نذكر هنا ثلاث آيات وحديثا قدسيا ، وسيأتي المزيد إن شاء الله تعالى في «باب فضائل الصحابة» رضي الله تعالى عنهم .

قال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾(٢) .

ففي هاتين الآيتين وغيرها كثير في القرآن الكريم يتولى الله نفسه جواب المسيئين إلى الصحابة دفاعا عنهم ، رضي اللّه تعالى عنهم ورضي عنا بحبهم .

وفي تفسير الآية : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُم

---

(١) الحج / ٣٨ .

(٢) النساء / ٤٥ .

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[1] ، قال سيد قطب : "وفي هذا النص وأمثاله نقف أمام حقيقة كبيرة ، وأمام تفضل من الله كريم . تلك الحقيقة هي التي يؤكدها القرآن دائما ويقررها ، وهي حقيقة الصلة بين الله والمؤمنين . إنه يجعل صفهم صفة ، وأمرهم أمره ، وشأنهم شأنه . يضمهم سبحانه إليه ، ويأخذهم في كنفه ، ويجعل عدوهم عدوه ، ومايوجه إليهم من مكر موجها إليه .... وهو في ذات الوقت تهديد رعيب للذين يحاولون خداع المؤمنين والمكر بهم ، وإيصال الأذى إليهم . تهديد لهم بأن معركتهم ليست مع المؤمنين وحدهم إنما هي مع الله القوي الجبار القهار وأنهم إنما يحاربون الله حين يحاربون أولياءه ، وإنما يتصدون لنقمة الله حين يحاولون هذه المحاولة اللئيمة"[2] .

وقد قال الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه : «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ»[3] . قال في (فتح الباري) : "وقد أجرى الله العادة بأن عدو العدو صديق ، وصديق العدو عدو ، فعدو ولي الله عدو الله ، فمن عاداه [أي الولي] كان كمن حاربه ، ومن حاربه فكأنما حارب الله" . وقال : "وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة ، ثبت في جانب الموالاة ، فمن والى أولياء الله أكرمه الله"[4] .

---

(١) البقرة / ٩ .

(٢) في ظلال القرآن ١ / ٤٥ .

(٣) فتح الباري (١١ / ٣٤٠) ٣٨ - باب التواضع ، حديث رقم (٦٥٠٢) عن أبي هريرة . قال في (فتح الباري) : ١١ / ٣٤٢ : "ووقع في حديث عائشة : «من عادى لي وليا» وفي رواية لأحمد : «من آذى لي وليا» ، وفي أخرى له «من آذى» ، وفي حديث ميمونة مثله «فقد استحل محاربتي» ، وفي رواية وهب ابن منبه موقوفا : «قال الله من أهان ولي المؤمن فقد استقبلني بالمحاربة» ، وفي حديث معاذ : «فقد بارز الله بالمحاربة» ، وفي حديث أبي أمامة وأنس : «فقد بارزني» .

(٤) فتح الباري ١١ / ٣٤٣ .

فهذه آيات وأحاديث وأمثالها كثيرة في القرآن والسنة تدل على شرف الصحابة وكرامتهم على الله عز وجل .

وإذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم قد بلغوا هذا القدر من الحظوة والرفعة والوجاهة والدرجة عند الله تعالى ورسوله ﷺ ، فما أحرى وأجدر بالمسلم أن يقف وقفة جادة وصادقة عند هذه الآيات والأحاديث ويتدبر معانيها ، ليزداد علما إلى علمه ، ويقينا إلى يقينه أن الصحابة هم أحباب الله وأولياؤه ، وأنهم موضع رعايته وعنايته ونصره ، ومن ثم فإن حبهم وتعظيمهم والذب عنهم كان من أفضل الطاعات وأقرب القربات .

فإذا تقرر في قلب المسلم وعقله هذا الإتجاه نحو الصحابة جميعهم ، لن يبقى في نفسه أدنى شك في عدالة جميع الصحابة ، وبراءتهم من كل نقيصة تلصق بهم ، وأنهم جميعهم من أهل الجنة ، وخص بعضهم بالذكر لمزيد فضلهم عند الله تعالى ، كالعشرة وأهل بدر وبيعة الرضوان وغيرهم ، كما سنشرح كل ذلك في "باب فضائل الصحابة" إن شاء الله تعالى .

وحيئنذ سيزداد فهما وإدراكا أن الخوض في شؤون الصحابة ليس بالأمر الهين ، يحلو له أن يطلق لسانه فيهم كيف يشاء ، وحسبما يمليه عليه هواه ، بل الموضوع على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة .

وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[1] . وتناسبها في الحكم الآية التي قبلها ، قال تعالى فيها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ، كما

---

(١) الأحزاب / ٥٨ . ذكرت هذه الآية الكريمة في (رياض الصالحين) في أكثر من ثلاثة مواضع ، منها: التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين "ص١٥٤" ، و «باب تحريم سب المسلم بغير حق» "ص٤٤٧" ، و «باب النهي عن الإيذاء» "ص٤٤٨" .

ورد في الحديث في شأن الصحابة : «**ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**» ، وسنذكر هذا الحديث بتمامه في "باب فضائل الصحابة" إن شاء الله تعالى . وقد أورد هذا الحديث ابن كثير أيضا عند تفسيره لهاتين الآيتين[(١)] ، وسيأتي حديث إن شاء الله في هذا المعنى آخر هذا الباب ، رواه أبو يعلى عن عائشة رضي الله تعالى عنها .

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «**لايرمي رجل رجلا بالفسوق ، ولايرميه بالكفر ، إلا ارتدت عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك**»[(٢)] .

وأخرج البخاري في صحيحه عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه : «... **ومن لعن مؤمنا فهو كقتله ، ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله...**»[(٣)]

ومن ثم فإنه سيتعامل مع هذا الموضوع بمزيد من الحيطة والحذر ، مستندا إلى الآيات والأحاديث الصحيحة في التمييز بين صحيح الأخبار وسقيمها التي يروجها الناس في شؤون الصحابة قديما وحديثا .

وخصوصا في هذه الأيام ، حيث أطلق الناس السنتهم في الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فمن مكفر ، ومن منتقد ، ومن مترفع عليهم .

---

(١) تفسير ابن كثير "٣ / ٥١٧" .

(٢) فتح الباري "١٠ / ٤٦٤" ٤٤ - باب ماينهي عن السباب واللعن ، حديث رقم "٦٠٤٥" .

(٣) فتح الباري "١٠ / ٤٦٤ - ٤٦٥" ٤٤ - باب ماينهي عن السباب واللعن حديث رقم "٦٠٤٧" . هذا جزء من الحديث ، وأوله : «من حلف على ملة غير الإسلام كاذبا» الحديث ، وقد أخرجه مسلم وغيره .
وقد وردت في هذا المعنى عدة أحاديث ، منها متفق عليها . وانظر رياض الصالحين "ص٤٤٧ - ٤٤٨" باب تحريم سب المسلم بغير حق ، و "ص٤٨٨" باب تحريم قوله لمسلم : ياكافر وانظر الترغيب والترهيب "٣ / ٤٦٣ - ٤٦٥" الترهيب من قوله لمسلم : ياكافر .

وأدهى من كل ذلك وأمر مايتردد على ألسنة بعض الخطباء والوعاظ والمرشدين - ويتلقفه عنهم العوام - من تكفير صحابي بدري جليل ثعلبة بن حاطب ، رضي الله تعالى عنه .

ومستندهم في ذلك حديث «ياويح ثعلبة» وهو حديث واهي السند منكر المتن ، معارض للنصوص الصريحة الواردة في الكتاب والسنة ، وكذلك أصول وقواعد الشريعة وإجماع الأمة ، المبنية على تلك النصوص ، كما سنبينه في موضعه إن شاء الله تعالى .

ولهذا فقد أنكر هذا الحديث ، وبين بطلانه ، وعدم الإعتداد به ، جمع من أئمة الحديث والتفسير ، وغيرهم من علماء المسلمين القدامى والمعاصرين .

ومن العلماء الذين نبهوا على بطلان هذه القصة سندا ومعنى ، فضيله القاضي محمد بن إسماعيل العمراني ، في فتاويه ومقالاته ، وكذلك الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، في مقدمة كتابه "الصحيح المسند من أسباب النزول" .

وقد اطلعت على ثلاثة بحوث قيمة في الدفاع عن ثعلبة بن حاطب رضي الله تعالى عنه ، جزا الله مؤلفيها خيرا ، وهم الأساتذة الأفاضل عداب السيد محمود الحمش ، وكتابه : "ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه" ، وأبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ، وكتابه : "الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب" ، والدكتور الطاهر محمد الدرديري ، وكتابه : "حديث : ياويح ثعلبة ، دراسة نقدية" .

ولكن مع ذلك كله ، ظلت أسمع بعض خطباء مساجدنا ، متحمسين لهذه القصة ، ولا يكفون عن تردادها في خطب الجمعة .

وبحثت عن هذه القصة في الكتب للمؤلفين والمفكرين المعاصرين ، لأطلع على آرائهم في القصة ، فوجدتها مذكورة في كتب التفسير ، وشروح الأحاديث ، والسيرة النبوية ، يعرضها مؤلفو تلك الكتب منمقة مزينة بعبارات رنانة ، وبأسلوب قصصي مشوق ومثير ، كما وجدتها في كتب العقائد ، والرقائق ، والفكر ، وكذلك في بحوث خاصة بالقرآن والحديث .

كل هذه الكتب يعتني بها شبابنا ، ويتداولونها فيما بينهم ، ولعل هذا الذي شجع بعضهم على أن يرددوا هذه القصة في خطبهم ، ومجالسهم باستمرار .

ثم سمعت أخيرا أحد الخطباء يذكر القصة بحماس شديد ، ويصفها بأنها أعظم قصة في الإسلام ، ويذكر صحابيين بدريين جليلين في قصته ، وهما ثعلبة بن حاطب ضحية هذه القصة ، والآخر هو حاطب بن أبي بلتعة ، وهو الذي دافع عنه النبي ﷺ غير مرة ، وأكد أنه من أهل الجنة ، وأنه لن يدخل النار ، وكذب من زعم ذلك بعبارة صريحة ، كما سنبينه إن شاء الله تعالى في الباب الثالث .

وقد ورد في بعض روايات القصة ذكر حاطب بن أبي بلتعة بدلا عن ثعلبة بن حاطب ، رضي الله تعالى عنهما ، وأوردها القرطبي في تفسيره ، ثم دافع عن الصحابيين ، كما سنذكره .

فكما ذكرت في هذه المقدمة أن سب الصحابي أو انتقاصه من أكبر الكبائر ، وأفجر الفجور ، وأنه منكر يجب على المسلم أن ينهى عنه ، كما أنه يجب نصرة المسلم ، والدفاع عن عرضه ، وقد أوردنا الآيات والأحاديث في هذا المعنى ، وسيأتي الشيء الكثير منها إن شاء الله تعالى في أبواب وفصول هذا الكتاب ، ومن أدلها على المقصود ، ماخرجه الألباني في كتابه (صحيح الجامع الصغير وزياداته) **«مَن ذَبَّ عَنْ عِرضِ أخيهِ بالغَيبَةِ ، كَانَ حَقاً عَلى اللّهِ أن يُعتِقَهُ مِن النارِ»** [1] ، **«مَن رَدَّ عَنْ عِرضِ أخيهِ ، رَدَّ اللّهُ عَن وَجهِهِ النَّارَ يَومَ القِيَامَةِ»** [2] ، **«مَن رَدَّ عَنْ عِرضِ أخيهِ ، كَانَ لَهُ حِجاباً مِنَ النَّارِ»** [3] .

---

(١) حديث رقم "٦٢٤٠" وقال صحيح .

(٢) حديث رقم "٦٢٦٢" وقال : صحيح .

(٣) حديث رقم "٦٢٦٣" وقال : صحيح ، وانظر أيضا حديث رقم "٥٦٩٠" فإنه مهم .

ومن ثم رأيت لزاما علي أن أدلو دلوي في الدلاء ، فقررت أن أعد هذا البحث المتواضع ، أقوم بعون الله تعالى وتوفيقه من خلاله ، بتفنيد مزاعم هذه القصة الباطلة ، والرد على تلك المزاعم واحد واحدا ، حسب قدرتي واطلاعي ، ليطلع الناس على ماتضمنته هذه القصة من أباطيل ، وافتراءات على الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ ، وعلى أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، وعلى شريعته الغراء ، الحنيفية السمحاء .

وأرجو أن يكون عملي هذا إضافة متواضعة لجهود من سبقني فيه ، وكلنا نسعى إلى إظهار الحقيقة للناس ، كل حسب استطاعته ، فالمسؤلية مشتركة ، والهم واحد ، والله الهادي إلى الصواب ، وإليه المرجع والمآب .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، اللهم ارزقنا الإخلاص في العمل ، وحسن النية فيه ، لنكون من المقربين عندك ، اللهم قنا عذاب القبر ، وعذاب النار ، واجعل أعمالنا مقبولة ، وحسناتنا مضاعفة .

وصل اللهم على خير خلقك ، أفضل أنبيائك ورسلك ، سيدنا محمد الأمين ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الراشدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحمن الرحمين .

وكتبه المستعين بربه العلي الصمد

فاروق السيد علي أحمد

إمام وخطيب مسجد أبو قبة ، وغيره ، سابقا ، بعدن

صنعاء يوم الجمعة ١٥ رمضان المبارك ١٤١٧هـ الموافق ٢٤ يناير ١٩٩٧م

الباب الأول

فضائل الصحابة

« رضي الله تعالى عنهم »

قال الله سبحانه وتعالى ﴿إنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإسلا﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ومَن يبتَغِ غيرَ الإسلامِ دِيناً فلَن يُقبَلَ مِنهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِين﴾[2] .

إن الإسلام دين الله الخالد ، الذي ارتضاه للناس جميعا على امتداد التاريخ في كل زمان ومكان حتى قيام الساعة .

وقد أرسل الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام ، لهداية البشرية إلى معرفة الخالق تعالى ، وتوحيده . وكان دينهم جميعا الدين الحق ، دين الإسلام ، به أوحى الله تعالى إليهم جميعا ، وإليه دعوا الناس على مدار التاريخ .

واستمرت سلسلة النبوة حتى مبعث خاتم الأنبياء ، ورسول البشرية كافة محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وأنزل الله عليه القرآن الكريم ، معجزته الخالدة ، وخاتم الكتب السماوية ، الذي أعلن إلى العالم أجمع إنتهاء سلسلة النبوة على محمد ﷺ وانقطاع وحي السماء بعده .

وصرح القرآن الكريم في حينه أن محمدا ﷺ رسول الله إلى الناس كافة ، وقد أمره الله تعالى بإعلان هذه الحقيقة إلى الناس جميعا ، بقوله : ﴿قُل يَا أيُّهَا النَّاسُ إنِّي رَسُولُ اللَّهِ إليكُم جَميعاً﴾[3] .

---

(١) آل عمران / ١٩ .

(٢) آل عمران / ٨٥ .

(٣) الأعراف / ١٥٨ .

كما قرر القرآن الكريم أنه الكتاب الخاتم لجميع الكتب السماوية السابقة ، أنزله الله تعالى على محمد ﷺ ، مصدقا لما تقدمه من الكتب ، ومهيمنا عليه ، وأنه الكتاب الموجه إلى البشرية قاطبة . قال تعالى : ﴿ **(قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾** (١) ، وقال تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾** (٢) .

وفي تفسير قوله تعالى : «ومهيمنا عليه» قال الإمام الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) : "والمعنى على قراءة الجمهور أن القرآن صار شاهدا بصحة الكتب المنزلة ، ومقررا لما فيها مما لم ينسخ ، وناسخا لما خالفه منها ، ورقيبا عليها ، وحافظا لما فيها من أصول الشرائع، وغالبا لها لكونه المرجع في المحكم منها والمنسوخ ، ومؤتمنا عليها لكونه مشتملا على ماهو معمول به منها ، وماهو متروك" (٣) .

ويظهر بالتأمل أن القرآن الكريم هو الكتاب الجامع الشامل لجميع الكتب الإلهية السابقة ، وكأن كل كتاب من الكتب السابقة كان فصلا من فصول هذا الكتاب العظيم . فقد قرر الله تعالى فيه وحدة الوهيته ووحدة قوامته ، وجاء القرآن جامعا لأصول الدين كله ، ومصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، كما تقدم شرحه .

ومن خلال هذا العرض الموجز لخصائص ومزايا هذه الأمة ، نرجو أن نخلص إلى حقائق هامة وهي :

أن القرآن الكريم الذي بعث به محمد ﷺ هو خاتم الكتب الإلهية ، مصدقا لها ومهيمنا

---

(١) الأنعام / ١٩ .

(٢) المائدة / ٤٨ .

(٣) ٢ / ٤٥ .

عليها ، وهو خطاب الله الأخير للإنسان في جميع العصور ، به انقطع وحي السماء إلى الأبد .

وبهذا يظل القرآن الكريم إماما ، ودستورا ، ومنهاجا للناس جميعا ، من حين نزوله إلى قيام الساعة .

فمن النتائج المنطقية لذلك أن يكون القرآن الصيغة النهائية للتشريع الإلهي للبشرية جمعا ، وبها صارت الشريعة التي جاء بها القرآن المرجع النهائي للبشرية قاطبة إلى يوم القيامة .

وكنتيجة واقعية لذلك كله تكون رسالة محمد ﷺ خاتمة الرسالات الإلهية ، ذات طابع عام ، تمتد لتشمل العالم أجمع إنسانا ومكانا وزمانا ، من وقت بعثته ﷺ إلى آخر أيام الدنيا .

وبهذه الرسالة المباركة اكتمل دين الله تعالى الإسلام ، وتمت نعمته على عباده ، وارتضاه دينا لعباده إلى الأبد ، ومن ثم وفي يوم عرفة ، في ساحة عرفات ، في حجة الوداع ، وقد دنا أجله ﷺ - فإنه عاش بعد حجة الوداع إحدى وثمانين ليلة - في ذلك اليوم التاريخي العظيم أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ الآية : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[1] .

وهكذا جاء الإعلان الإلهي في هذه الآية الكريمة للعالمين أن هذا الدين الحنيف قد بلغ طوره الأخير من الكمال والوفاء بحاجات البشر الروحية والمادية ، والصلاحية التامة للبقاء والإستمرار ، في تطور دائم ، وتجديد مستمر في كل عصر وجيل ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

---

(١) ٣ / المائدة .

ومن ثم تأتي نتيجة النتائج لهذه الحقائق :

أن الله تعالى العليم الحكيم اللطيف الخبير ، بعد اختتام النبوة ، وانقطاع وحي السماء ، إختار أمة محمد ﷺ لتتقلد مهام النبوة ، ومسؤولياتها من غير نبوة.

وهكذا كلفت الأمة المحمدية النهوض بالدعوة في عصر النبوة وبعده، وتبليغها إلى الأجيال القادمة ، قولا وفعلا ، جيلا بعد جيل إلى قيام الساعة .

ولاشك أن الأمة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لتحمل هذه المسؤولية الجسيمة الخطيرة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ البشري قبل البعثة المحمدية ، لابد أن تكون هذه الأمة متصفة بأرقى وأعلى درجات الصدق والأمانة والعدالة .

وقد كانها أصحاب النبي ﷺ خاصة ، ثم من تبعهم وسار على نهجهم من الأمة المحمدية ، مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى في وصف هذه الأمة في كتابه الكريم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(١) .

وأصحاب النبي ﷺ هم الرعيل الأول الذين كانوا زرع النبوة ، وغرس القرآن ، والجيل المثالي في تاريخ البشرية ، الذي عاصر نزول الوحي الإلهي ، والذي رباه وصاغه النبي على عينه ، وتولى رعايته وتوجيهه وإعداده للقيام بتبليغ رسالته من بعده إلى كل أطراف المعمورة.

ومن ثم تابعه أصحابه على الهدى ودين الحق ، واهتدوا بهديه في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية ، وحرصوا حرصا لانظير له على تلقي حديثه وحفظه ووعيه والعمل به ، ثم نقله لمن بعدهم ، كما أرشدهم إلى ذلك النبي ﷺ ، وبذلك حفظوا للأمة كل ماتلقوه من النبي

---

(١) البقرة / ١٤٣ .

ﷺ ، وبلغوا كل ماسمعوه منه ، وبأدق التفاصيل في كل مايتعلق بحياة النبي ﷺ وصفاته وجميع شؤونه الخاصة والعامة ، وفي السفر والحضر ، وفي الحرب والسلم ، متحرين في ذلك أقصى مراتب الدقة والضبط والصدق والأمانة ، لم تسبقهم في ذلك أمة من الأمم على مدار التاريخ ، ولم يسبق لأي نبي من الأنبياء والرسل أن وصف بهذ الوصف الدقيق من قبل أصحابه وتلاميذه ومعاصريه . صلى الله وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين ، ورضي الله تعالى عن صحابة رسول الله أجمعين ، ورضي عنا بحبهم ، وحشرنا في زمرتهم ، آمين .

هذا ، وأما سير الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام ، فإن أكثرها مفقودة إلا ماحفظه لنا القرآن الكريم والسنة الصحيحة من إجماليات .

وقال السيد أبو الحسن الندوي في كتابه النبي الخاتم "ويكفينا أن نستعرض حياة سيدنا المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، فكان آخر الأنبياء قبل محمد ﷺ ، وتنسب إليه أمة عرف شغفها بالعلم والتأليف ، وإفراطها في حب نبيها ، وإطراؤها له إطراءا بلغ حد التأليه والتقديس ، ولكنها لم تستطع أن تعرض على العالم إلا نتفا من أخباره وأقواله التي لاتكون هيكلا من حياة بشرية كاملة ، يقلده الإنسان في حياته الفردية ، أو يسير في ضوئه مجتمع فاضل ، وقد كان الإعتقاد السائد في العالم المسيحي قبل أيام أن (العهد الجديد) يتضمن أخبار السنوات الثلاث الأخيرة من سيرة المسيح وأخباره ، فانتهى تحقيق الباحثين وأصحاب الإختصاص في الموضوع في الزمن الأخير إلى أنها لاتتجاوز أخبار خمسين يوما من حياته ، لاأكثر ولاأقل"(١) .

---

(١) النبي الخاتم "ص١٦ - ١٧" . وتوجد في الهامش العبارة التالية : "يقول القس الدكتور شارلس أندرسن اسكات في مقال له في دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الرابعة عشرة ، "ج١٣ ، ص١٧١٠" ينبغي أن يتنازل الإنسان عن محاولة وضع كتاب في سيرة المسيح ، بكل صراحة ، فإنه لاوجود للمادة والمعلومات التي تساعد على تحقيق هذا الغرض ، والأيام التي توجد عنها بعض المعلومات لايزيد عددها على خمسين يوما" .

ولما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، هم شهودنا العدول ، الذين تشرفوا برؤية النبي ﷺ ، وصحبته ، واطلعوا على جميع أحواله الخاصة والعامة ، وتلقوا ماأنزل عليه من الوحي غضا طريا ، مشافهة ، وبدون أي واسطة ، ثم نقلوه بكل دقة وأمانة إلى من بعدهم ، فقد حاول أعداء الإسلام عبر التاريخ تشويه سيرتهم ، بإفتراء الأكاذيب عليهم ، ووضع الأحاديث المكذوبة عليهم ، وصولا إلى الطعن في نبوة محمد ﷺ ، وسيرته الطاهرة ، والقرآن الكريم الذي أنزل عليه ، وشريعته الغراء ، ومن ثم نسف الدين الإسلامي من أصله .

ولذلك حبذنا ضرورة عقد باب خاص لبيان فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، يكون كالمقدمة لهذا البحث ، يجمع ماتفرق في الكتب من آيات وأحاديث ، وأقوال علماء الإسلام ، المتعلقة بفضائل الصحابة ، بمختلف مضامينها ، تعريفا بهم وبحقوقهم ، وتبيانا لفضائلهم ، وإظهارا لمنزلتهم عند الله تعالى ، وعند رسوله ﷺ .

ومن أجل ذلك قمنا بجمع عشرات الكتب والمصادر المعتمدة ، نختار منها ماأعتمده العلماء ، وقد حاولنا قدر الإمكان إستيعاب - ولو بإيجاز - ماورد عنهم بهذا الصدد .

متوخين أن يكون عملنا هذا بفضل الله تعالى عونا لشبابنا على تصحيح الكثير من الأخطاء التي وقرت في أذهان البعض ، بسبب مطالعتهم لكتابات المغرضين من خصوم الإسلام .

وجدير هذا الباب بأن يفرد في مؤلف خاص ، يدرس في المعاهد الدينية ، لاحتوائه على فضائل الصحابة ، وبأسلوب علمي ، لم نرها مجموعة في باب واحد كهذا .

ومن ثم ندعو كل من يهتم بتربية الناشئين على العقيدة الصحيحة ، أن يسهم في تحقيق هذا المطلب الديني الهام ، خدمة للدين ، وحبا في الله تعالى ، ورسوله ﷺ ، وحبا في

الصحابة الكرام ، «والمرء مع من أحب» ، رضي الله تعالى عنهم ، ورضي عنا بحبهم .

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الفصل الأول

تعريف الصحابي

« رضي الله عنه »

إصطلح العلماء على قيود ثلاثة في ثبوت الصحبة ، وهي : الصحبة ، أو الرؤية ، مع الإسلام حين وقوعها .

وقد أضافوا أوصافا إلى هذه القيود الثلاثة كالتوضيح لها .

فالعبارة الشاملة لأقوالهم في تعريف الصحابي ، هي : «الصحابي : من صحب النبي ﷺ (في زمن نبوته ، ولو ساعة ، وإن لم يرو عنه ، ولم يغز معه) أو من رأى النبي ﷺ (في زمن نبوته ، ولو لحظة ، ولو على بعد ، في حال حياته) وهو من المسلمين (العقلاء ، ولو أنثى ، أو عبدا ، أو غير بالغ ، أو جنيا) . وفي هذا الحكم من رآه النبي ﷺ .

وهل المراد من الصحبة والرؤية في التعريف معناهما الغوي ، أم العرفي ؟ فيه خلاف ، وقد اختار جمهور العلماء معناهما اللغوي .

وأصل الصحبة في اللغة يطلق على مجرد الصحبة ، دون اشتراط استمرارها طويلا ، وهو المراد في تعريف الصحابي هنا ، وكذلك الرؤية ، ولو لم يجالسه .

يعني أن اسم الصحبة مستحق لمن صحب النبي ﷺ ، أقل مايطلق عليه اسم الصحبة لغة ، وإن كان العرف يخص ذلك ببعض الملازمة ، ويطلق أيضا على من رآه ﷺ ، رؤية ولو على بعد[1] .

وهذا هو الصحيح الذي عليه الجمهور[2] .

وعلى ذلك درج المحدثون ، وهاك بيانه :

---

(١) فتح الباري "٧ / ٣" ١ - باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) انظر الهامش رقم "٥" في الصفحة التالية .

قال البخاري في صحيحه : «ومن صحب النبي ﷺ ، أو رآه ، من المسلمين فهو من أصحابه»[(١)] .

قال في فتح الباري "وهذا الذي ذكره البخاري هو الراجح" وقال "والذي جزم به البخاري هو قول أحمد والجمهور من المحدثين" .

ثم ذكر تعريف علي المديني شيخ البخاري قال "من صحب النبي ﷺ ، أو رآه ، ولو ساعة من نهار ، فهو من أصحاب النبي ﷺ "[(٢)] .

قلت : وقول البخاري هذا في تعريف الصحابي ، هو قول أبي زرعة أيضا[(٣)] .

أما قول أحمد بن حنبل فقد أورده الخطيب البغدادي في الكفاية قال : "... كل من صحبه سنة أو شهر أو يوما أو ساعة ، أو رآه ، فهو من أصحابه ﷺ "[(٤)] .

وقال النووي في شرح صحيح مسلم : "فأما الصحابي فكل مسلم رأى رسول الله ﷺ ولو لحظة . هذا هو الصحيح في حده وهو مذهب أحمد بن حنبل وأبي عبدالله البخاري في صحيحه والمحدثين كافة"[(٥)] . وفي موضع آخر أفاد أنه الصحيح الذي عليه الجمهور[(٥)] ,

وقال ابن الصلاح في مقدمته : "المعروف من طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأي رسول الله ﷺ فهو من الصحابة"[(٦)] .

---

(١) فتح الباري "٧ / ٣" .

(٢) فتح الباري "٧ / ٣و٤و٥" .

(٣) معجم مصطلحات وتوثيق الحديث "ص٤٣" .

(٤) الكفاية "ص٦٩" .

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي "١ / ٣٥" و "١٦ / ٨٤" . باب فضل الصحابة .

(٦) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث "ص١٤٥" .

وقال ابن كثير في مختصره : "والصحابي : من رأى رسول الله ﷺ في حال إسلام الراوي ، وإن لم تطل صحبته له ، وإن لم يرو عنه شيئا . هذا قول جمهور العلماء ، خلفا وسلفا"[1] .

هذا ، وقد زاد ابن حجر العسقلاني كشيخه الزين العراقي قيدا رابعا وهو : "الموت على الإسلام" . فقد قال في الإصابة وغيره "الصحابي من لقي النبي ﷺ ، مؤمنا به ، ومات على الإسلام" وأفاد أنه أصح ماوقف عليه من ذلك . وقال "وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما"[2] .

فهذه أربعة قيود لثبوت الصحبة : الصحبة أو الرؤية ، مع الإيمان به ﷺ حين لقيه أو رؤيته ، ثم الموت على الإسلام لبقاء اسم الصحبة له .

وقد شرح العلماء هذه القيود في كتبهم ، الخصه فيما يلي :

ا - الصحبة :

قد تقدم أن المراد من الصحبة هنا مطلقها .

قال ابن الجوزي : الصحبة تطلق ، ويراد مطلقها في هذا التعريف[3] .

وذكره النووي أيضا في شرح صحيح مسلم ثم قال : "ويستدل به على ترجيح مذهب المحدثين ، .. ، وأكثر أهل الحديث قد نقلوا الإستعمال في الشرع والعرف على وفق اللغة ، فوجب المصير إليه ، والله أعلم"[4] .

---

(١) اختصار علوم الحديث / الباعث الحثيث "ص١٧٤" .

(٢) الإصابة "١ / ١٠و١٢" وفتح الباري "٧ / ٤" ونزهة النظر "ص٥٥" .

(٣) معجم مصطلحات وتوثيق الحديث "ص٤٣" .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي "١ / ٣٦" .

وقال ابن حجر في الإصابة "طالت مجالسته له أو قصرت ، روى عنه أو لم يرو ، غزا معه أو لم يغز"(١) .

أما من اشترط طول الصحبة لإطلاق اسم الصحابي عليه ، فقد رده العلماء ، ومنهم ابن حجر العسقلاني ، فقد قال في فتح الباري "ومنهم من بالغ فكان لايعد في الصحابة إلا من صحب الصحبة العرفية" وبعد ذكر أقوال من قالوا بذلك قال : "والعمل على خلاف هذا القول ، لأنهم اتفقوا على عد جمع جم في الصحابة لم يجتمعوا بالنبي ﷺ إلا في حجة الوداع"(٢) .

وضعف هذا القول النووي أيضا في التقريب ، ثم قال "فإن مقتضاه أن لا يعد جرير البجلي وشبهه صحابيا ، ولا خلاف أنهم صحابة"(٣) .

وسيأتي إن شاء الله تعالى مانقله السيوطي عن العلائي في تدريب الراوي ، وغير ذلك في رد هذا القول في مبحث عدالة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فإنه مهم(٤) . وقد رد هذا القول ابن كثير أيضا في مختصره ، وسيأتي قريبا إن شاء تعالى في مبحث الرؤية(٥) .

٢ - الرؤية :

والرؤية ، المراد منها مطلقها ، كما تقدم ، ولو لحظة ، لقوة سريان نور النبوة في المسلم

---

(١) الإصابة "١ / ١٠" .

(٢) فتح الباري "٧ / ٤" .

(٣) تقريب التيسير "ص٩٢".

(٤) تدريب الراوي "ص٣٩٨و٣٩٩و٤٠١" .

(٥) اختصار علوم الحديث / الباعث الحثيث "ص١٧٥" .

بمجرد الإجتماع بالنبي ﷺ . ولشرف منزلته ﷺ أعطي كل من رآه مؤمنا به حكم الصحبة[1] .

فالمراد من الرؤية هنا مطلقها ، وهو قول أكثر العلماء ، نورد هنا بعضها :

قد أوردنا في بداية هذا الفصل أقوال العلماء في هذا الموضوع ، وخلاصتها : قال ابن حجر في فتح الباري : "ويطلق أيضا على من رآه رؤية ولو على بعد"[2] . وقال في الإصابة : "ولو لم يجالسه"[3] . وقال النووي في شرح صحيح مسلم : "ولو لحظة"[4] . وغيرهما من العلماء ، تقدم ذكر أقوالهم ، في بداية هذا الفصل .

واكتفى بعض العلماء بذكر الرؤية في تعريفهم للصحابي ولم يذكروا الصحبة ، كما نقلناه عن النووي ، وابن الصلاح ، وابن كثير ، في بداية هذا الفصل .

قال القسطلاني : "والإكتفاء بمجرد الرؤية ، من غير مجالسة ، ولا مماشاة ، ولا مكالمة مذهب الجمهور من المحدثين والأصوليين ، لشرف منزلته ﷺ ، فإنه كما صرح غير واحد إذا رآه مسلم أو رأي مسلما لحظة ، طبع قلبه على الإستقامة ، إذ أنه بإسلامه متهيء للقبول ، فإذا قابل ذلك النور المحمدي أشرق عليه ، فظهر أثره في قلبه وعلى جوارحه"[5] .

وقال ابن كثير في مختصره : "وقد نص على أن مجرد الرؤية كاف في إطلاق الصحبة : البخاري وأبو زرعة ، وغير واحد ممن صنف في أسماء الصحابة ، كإبن عبدالبر ، وابن مندة ،

---

(١) إنظر لقط الدرر "ص١١٤و١١٦" .

(٢) فتح الباري "٧ / ٣" .

(٣) الإصابة "١ / ١٠" .

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي "١ / ٣٥" .

(٥) إرشاد الساري "٦ / ٧٩" باب فضائل الصحابة .

وأبي موسى المديني ، وابن الأثير" وأضاف أن : "ماصطلح عليه الجمهور أن مجرد الرؤية كاف في إطلاق الصحبة ، لشرف رسول الله ﷺ ، وجلالة قدره ، وقدر من رآه من المسلمين" . قال : "ولهذا جاء في بعض ألفاظ الحديث : «تغزون فيقال : هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ فيقولون : نعم ، فيفتح لكم"[1] .

بقيت مسائل تتعلق بهذين القيدين (الصحبة والرؤية) أوضحها فيما يلي :

أ - من رأى النبي ﷺ ، ولم يره النبي ﷺ :

تكفي رؤية المسلم للنبي ﷺ في إطلاق الصحبة ، وإن لم يره النبي ﷺ ، كما أفاده ابن حجر في الإصابة[2] .

وقال القسطلاني : "وعد في الإصابة من حضر معه عليه الصلاة والسلام حجة الوداع من أهل مكة والمدينة والطائف ومابينهما من الأعراب وكانوا أربعين ألفا لحصول رؤيتهم له ﷺ وإن لم يرهم هو"[3] .

---

(١) اختصار علوم الحديث / الباعث الحثيث "ص١٧٤ - ١٧٥" . والحديث ورد في الصحيحين من راوية جابر بن عبدالله الأنصاري ، عن أبي سعيد الخدري ، مرفوعا . وأوله عند مسلم بلفظ : يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس ، فيقال لهم : فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ..." الحديث : "٥٢" باب فضل الصحابة ، "ص١٩٦٢" حديث رقم "٢٥٣٢" وعند البخاري ، بلفظ : يأتي على الناس ... فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..." الحديث "٦٢" كتاب فضائل أصحاب النبي ص "١" باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتح الباري "٧ / ٣" ، حديث رقم "٣٦٤٩" . راوية أخرى عند مسلم في نفس الصفحة .

(٢) الإصابة "١ / ١٦" .

(٣) إرشاد الساري "٦ / ٧٩" باب فضائل الصحابة .

(١) إنظر نزهة النظر "ص ٥٥و٥٧" ولقط الدرر "ص١١٤ - ١١٥" .

ب ـ من رآه النبي ﷺ :

التعريف العام أن كل مسلم رآه النبي ﷺ فهو من أصحابه ، كما لو رآه المسلم نفسه ، كما تقدم قبل قليل .

فأقوال العلماء في تعريف الصحابي (رآه) تدخل فيه رؤية أحدهما الآخر ، كما أفاده ابن حجر العسقلاني ، وغيره[1] .

وقال القسطلاني : "و (أو) في قوله [يعني البخاري] (أو رآه) للتقسيم ، والضمير المنصوب للنبي ﷺ ، أو للصاحب"[2] .

قلت : وقول القسطلاني : "للتقسيم" يعني أن تعريف الصحابي ينقسم إلى قسمين :

قسم يندرج تحته من صحب النبي ﷺ .

وقسم يندرج تحته من رأي النبي ﷺ .

وهذا هو المراد من قول العلماء في تعريفهم للصحابي : صحبه أو رآه .

جـ - من لم يقدر على الرؤية لعارض :

ومن لم يقدر على الرؤية لعارض كالعمى ، فيدخل في قولهم : "من صحب النبي ﷺ " ، وكذا في قولهم : "أو رآه النبي ﷺ " ، فباللقاء ، أو رؤية النبي ﷺ له ، يستحق اسم الصحبة ، كعبدالله بن أم مكتوم ، ونحوه من العميان ، فهم صحابة بلا خلاف[3] .

---

(٢) إرشاد الساري "٦ / ٧٩" باب فضائل الصحابة .

(٣) إرشاد الساري "٦ / ٧٩" ونزهة النظر "ص٥٥" وتدريب الراوي "ص٣٩٦" .

(١) لقط الدرر "ص١١٤" .

قلت : بل يدخل الأعمى في قولهم : "أو رأى النبي ﷺ " حكما ، ويدل له ما نقله في (لقط الدرر) عن العراقي وابن حجر بقوله : "وقال العراقي : هكذا أطلقه كثير من أهل الحديث ، ومرادهم بذلك مع زوال المانع من الرؤية ، كالعمى" . وقال : "قال المصنف [يعني ابن حجر] الذي اخترته أخيرا أن قول من قال : "رأى النبي ﷺ " ، لايرد عليه الأعمى ، لأن المراد بالرؤية ماهو أعم من الرؤية بالقوة أو بالفعل ، والأعمى في قوة من يرى بالفعل ، وإن عرض مانع من الرؤية بالفعل ، وهو العمى"(١) .

د ـ الصبي المميز ، وغير المميز :

التمييز كاف في الصحبة ، فالصبي الذي يفهم الخطاب ويرد الجواب - كما يقول النووي والعراقي - يعد صحابيا(٢) .

وقد رد العلماء قول من اشترط في صحة الصحبة بلوغ الحلم ، وعدوه من الأقوال الشاذة ، وأنه يؤدي إلى إخراج من أجمع على عده في الصحابة ، مثل : الحسن والحسين ابني علي ، وابن الزبير ، ومحمود بن الربيع ، ونحوهم من أحداث الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين(٣) .

أما الصبي غير المميز : فهو صحابي من حيث أن النبي ﷺ رآه ، كما مشى عليه غير واحد ممن صنف في الصحابة ، كعبدالله بن الحارث بن نوفل ، وعبدالله بن أبي طلحة الأنصاري ، ومحمد بن

---

(٢) علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي الصالحي "ص٣٥٢" .

(٣) فتح الباري "٧ / ٤" ، تدريب الراوي "ص٣٩٧" .

(١) فتح الباري "٧ / ٣و٤" ، الإصابة "١ / ٦و١٢" ، نزهة النظر "ص٥٥و٥٦" ، لقط الدرر "ص١١٤و١١٦"

أبي بكر الصديق ، ونحوهم من أطفال الصحابة الذين رآهم النبي ﷺ [(١)] .

والأخبار بذلك كثيرة شهيرة ، منها ماأخرجه مسلم في صحيحه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم[(٢)] .

هـ - حصول الرؤية في حال حياته ﷺ :

من رآه ﷺ بعد موته ، وقبل دفنه ؟ فالراجح أنه ليس بصحابي ، وقد وقع ذلك لأبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي الشاعر ، فإنه حضر الصلاة عليه ﷺ ، ورآه مسجى ، وشاهد دفنه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم[(٣)] .

٣ - الإيمان بالنبي ﷺ :

ويقتضي ذلك : حصول الصحبة أو الرؤية في حال نبوءته ﷺ لأن الصحابي هو من آمن بما جاء به النبي ﷺ ، واجتمع معه ، وقبل البعثة لم يكن هناك شرع . كما آن الصحبة وعدمها من الأحكام الظاهرة ، فلا تحصل إلا عند حصول مقتضيها في الظاهر ، وحصوله في الظاهر يتوقف على البعثة[(٤)] .

، إرشاد الساري "٦ / ٧٩" ، تدريب الراوي "٣٩٧و٣٩٩" ، اختصار علوم الحديث / الباعث الحثيث "ص١٨٧و١٨٨" ، وانظر الأحاديث في هذا الموضوع في صحيح مسلم "٣ / ١٦٨٩ - ١٦٩٢" ٥ - باب استحباب تحنيك المولود ، الأحاديث من رقم "٢١٤٤" إلى رقم "٢١٥٠" .

(٢) حديث رقم "٢١٤٧" .

(٣) فتح الباري "٧ / ٤" ، الإصابة "١ / ١٣" ، تدريب الراوي "ص٣٩٦" ولقط الدرر "ص١١٤" .

(٤) لقط الدرر "ص١١٥ - ١١٦" .

(١) تدريب الراوي "ص٣٩٦ - ٣٩٧" .

وفي تدريب الراوي "ويدل على إعتبار الرؤية بعد النبوة ، ذكرهم في الصحابة ولده إبراهيم ، دون من مات قبلها [أي قبل البعثة] ، كالقاسم"[1] .

فالإيمان بالنبي ﷺ حين لقيه أو رؤيته ، من القيود التي ذكرتها آنفا في ثبوت الصحبة ، ولايقع ذلك إلا بعد البعثة ، كما تقدم .

أما الكافر ، إذا صحب النبي ﷺ أو رآه ، فإنه لايسمى صحابيا . ولو أسلم بعد ذلك ، ولم يجتمع بالنبي ﷺ ثانيا بعد إسلامه ، فلا صحبة له[2] .

٤ - الموت على الإسلام :

الموت على الإسلام شرط لبقاء اسم الصحبة للصحابي بعد موته ، كما تقدم.

فمن صحب النبي ﷺ ، أو رآه مؤمنا به ، استحق اسم الصحبة ، كما تقدم ، لكن إن ارتد بعد ذلك ، ومات على ردته ، فلا يعد صحابيا ، بلا خلاف[3] .

أما من ارتد ثم عاد إلى الإسلام ، ففيه خلاف .

ومسألة الردة محلها كتب الفقه ، ولكنا نقتصر هنا على ذكر مايتعلق بموضوعنا من هذه المسألة .

قال جلال الدين السيوطي ، في تدريب الراوي : "أما من ارتد بعده ﷺ ثم أسلم ومات مسلما ، فقال العراقي : في دخوله فيهم نظر [يعني الصحابة] فقد نص الشافعي وأبو حنيفة على أن الردة محبطة للعمل ، قال : والظاهر أنها محبطة للصحبة السابقة ، كقرة بن ميسرة والأشعث بن قيس ،

---

(٢) الإصابة "١ / ١٠ - ١٢" ، فتح الباري "٧ / ٤" ، نزهة النظر "ص٥٦" .

(٣) الإصابة "١ / ١٠ - ١٢" ، فتح الباري "٧ / ٤" ، نزهة النظر "ص٥٦" .

(١) تدريب الراوي "ص٣٩٦ - ٣٩٧" .

أمـا من رجع إلى الإسـلام في حـيـاته ﷺ كـعـبـدالله بن أبي سـرح ، فـلا مـانع من دخـوله في الصحبة"(١) .

وأفاد في لقط الدرر في عدة مواضع أنه مذهب مالك أيضا ، ونقل عن الحليمي نحو هذا القول ، قال بعده [أي الحليمي] "وهذا قول أبي حنيفة ، وفي عبارة الشافعي مايدل على هذا ، كذا قاله بعض مشائخي ، لكن الذي حكاه الرافعي عن الشافعي ، أنها [أي الردة] إنما تحبط بشرط اتصالها بالموت ، والله أعلم . انتهى باختصار"(٢) .

قلت : عبدالله بن أبي السرح قد اجتمع بالنبي ﷺ ثانيا ، وبايعه بعد إسلامه ، وقد روى النسائي وأبو داود في سننهما ، قصة عوده إلى الإسلام ، وسنذكر هذه الأحاديث في "مبحث قبول توبة المرتد" إن شاء الله تعالى . أما الأشعث بن قيس فعاد إلى الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ ، في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه(٣) .

والذي اختاره ابن حجر العسقلاني : "أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام ، فإن اسم الصحبة باق له ، سواء أرجع إلى الإسلام في حياته ﷺ أو بعده ، وسواء ألقيه ثانيا أم لا ، ولهذا قال في تعريف الصحابي : «ومات على الإسلام ، ولو تخللت ردة في الأصح"(٤) .

قلت : وقد صحح هذا القول ، بدرالدين العيني في شرحه على صحيح البخاري ، وذكر السيد محمد مرتضى الزبيدي هذا القول في كتابه بلغة الأريب ولم يعقب عليه بشيء . أما ابن الحنبلي

---

(٢) لقط الدرر "ص١١٥ - ١١٦" .

(٣) الإصابة "١ / ١٠ - ١٢" ، فتح الباري "٧ / ٤" ، نزهة النظر "ص٥٦" .

(٤) نزهة النظر "ص٥٥ - ٦٦" .

(١) عمدة القاري "١٣ / ٢٣٦" ، بلغة الأريب "ص١٩٧" ، قفو الأثر "ص٩٠ - ٩١" .

فتعقبه في كتابه قفو الأثر بذكر خلاف أبي حنيفة في هذه المسألة[١] .

مسألة - ومن لقيه ﷺ من مسلمي الجن :

فهل يطلق عليه اسم الصحبة ، بناء على ماتقدم شرحه في هذا الصدد ؟

والجواب : أن النبي ﷺ بعث إليهم قطعا ، وهم مكلفون ، فيهم العصاة والطائعون[٢] .

ومن ثم ، قال ابن حزم في كتابه المحلى : "إن الله تعالى قد أعلمنا أن نفرا من الجن آمنوا ، وسمعوا القرآن من النبي ﷺ ، فهم صحابة فضلاء"[٣] .

فمن عرف اسمه منهم ، لاينبغي التردد في ذكره في الصحابة ، رضي الله تعالى عنهم[٤] .

---

(٢) لقط الدرر "ص١١٤" .

(٣) الإصابة "١ / ١٠ - ١١" .

(٤) فتح الباري "٧ / ٤" .

الفصل الثاني

الطريق إلى معرفة كون الشخص صحابيا

ذكر العلماء ضوابط[1] ، إذا توفر أحدها كان دليلا على الصحبة ، أهمها :

١ - تواتر العلم بذلك ، بأن ينقل إثبات صحبته عن عدد كثير جدا من الصحابة ، مثل كبار الصحابة ، المعروفين لدى الخاصة والعامة .

٢ - الإستفاضة والشهرة القاصرة عن التواتر ، كضمام بن ثعلبة ، وعكاشة بن محصن.

٣ - أن يروى عن أحد من الصحابة أن فلانا له صحبة ، كما قال أبو موسى الأشعري بصحبة حممة الدوسي .

٤ - أن يروى عن أحد التابعين أن فلانا له صحبة .

هذا الضابط زاده في الإصابة ، وقال فيه وفي سابقه أنهما : "بناء على التزكية من واحد" قال : "وهو الراجح" .

٥ - أن يقول هو عن نفسه أنه صحابي ، أو مايقوم مقام ذلك ، كروايته عن النبي ﷺ ، سماعا أو مشاهدة .

ولا يتحقق ذلك إلا بشرطين :

الأول : أن يكون ثابت العدالة .

الثاني : أن يكون قد عرفت معاصرته للنبي ﷺ .

وبيانه كما يلي :

الشرط الأول : نص عليه النووي في التقريب ، وابن حجر في الإصابة ، وقال في لقط الدرر : "قال ابن القاسم : قيده ابن الصلاح بأن يكون معروف العدالة ، وكذا ابن الحاجب وغيره" .

---

(١) انظر الإصابة "١ / ١٤ - ١٦" ، التقريب والتيسير "ص٩٢" ، تدريب الراوي "ص٣٩٩ - ٤٠٠" ، إختصار علوم الحديث / الباعث الحثيث "ص١٨٥ - ١٨٦" ، لقط الدرر "ص١١٧" ، علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي الصالح "ص٣٥٢ - ٣٥٣" ، منهج النقد في علوم الحديث ، د . نور الدين عتر "١١٨ - ١١٩" .

وقال ابن حجر في الإصابة : "أما الشرط الأول ، وهو العدالة ، فجزم به الآمدي ، وغيره لأن قوله قبل أن تثبت عدالته : أنا صحابي ، أو مايقوم مقام ذلك ، يلزم من قبول قوله إثبات عدالته ، لأن الصحابة كلهم عدول ، فيصير بمنزلة قول القائل أنا عدل وذلك لايقبل" .

وقال ابن كثير في مختصره : "فإذا قال المعاصر العدل أنا صحابي ، فقد قال ابن الحاجب في مختصره أحتمل الخلاف ، يعني لأنه يخبر عن حكم شرعي ، كما لو قال في الناسخ هذا ناسخ لهذا ، لإحتمال خطئه في ذلك" .

ورد على هذه الأقوال في لقط الدرر بقوله : "والجواب أنه فرق بين من صرح بالعدالة ، وبين من قال قولا يتضمن عدالة نفسه ، فمن أثبت لنفسه العدالة صراحة فلا يقبل ، ومن أثبت لنفسه الصحبة المتضمنة للعدالة فيقبل ، لأنه يغتفر في الضمنيات مالا يغتفر في الصراحة" .

وقال ابن كثير في مختصره : "أما لو قال سمعت رسول الله ﷺ قال كذا أو رأيته فعل كذا أو كنا عند رسول الله ﷺ ونحو هذا فهذا مقبول لا محالة ، إذا صح السند إليه ، وهو ممن عاصره عليه السلام"[1] كحديث محمود بن الربيع في قوله : "عقلت مجة مجها رسول الله ﷺ في وجهي من بئر لنا" ولا يرد اعتراض من قال إن دعواه الصحبة نظير دعوى من قال أنا عدل ، فليتأمل حيث أنه لو كان كاذبا في دعواه لكذبته الصحابة الذين هو معاصر لهم ، وسكوتهم إقرار منهم[2] .

أما الشرط الثاني : وهو المعاصرة : فقد اشترط العلماء في قول دعوى من ادعى الصحبة أن يكون دعواه ضمن الإطار الزمني الممكن .

وقد اصطلحوا على أن هذا الزمن الممكن لا ينبغي أن يجاوز سنة (١١٠)هـ.[3]

---

(١) إختصار علوم الحديث / الباعث الحثيث "ص١٨٦" .

(٢) النخبة النبهانية "ص٩" ، واخرج البخاري في صحيحه عن محمود بن الربيع نحوه "فتح الباري ١ / ١٧٢" ، حديث رقم "٧٧"

(٣) (٣) الإصابة "١ / ١٣ – ١٥" .

واستنبطوا ذلك من قوله ﷺ ، في آخر عمره لأصحابه : **«أرأيتكُم ليلَتَكُم هذه فإنَّ رأس مِائةِ سَنةٍ منها لايَبقى مِمَّن هو على ظَهرِ الأرضِ أحَد»**[١] .

زاد مسلم من حديث جابر أن ذلك كان قبل موته ﷺ بشهر[٢] . وأحاديث رواها مسلم في صحيحه ، في هذا المعنى[٣] .

وقد كان آخر الصحابة موتا ، سنة مائة وعشر سنين من الهجرة ، وهو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي الكناني ، رضي الله تعالى عنه .

وبموته انقرض عصر الصحابة ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وتحقق ماأخبر به رسول الله ﷺ ، كما تقدم .

ولهذا التحديد النبوي المعجز ، لم يصدق الأئمة أحدا إدعى الصحبة بعد المدة المذكورة .

فائـــــــدة :

قال في الإصابة : "ومما جاء عن الأئمة من الأقوال المجملة في الصفة التي يعرف بها كون الرجل صحابيا ، وإن لم يرد التنصيص على ذلك ، ماأورده ابن أبي شيبة في مصنفه من طريق لابأس به ، أنهم كانوا في الفتوح لايؤمرون إلا الصحابة . وقول ابن عبد البر لم يبق بمكة ، ولاالطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم ، وشهد مع النبي ﷺ حجة الوداع ، ومثل ذلك قول بعضهم في الأوس والخزرج إنه لم يبق منهم أحد في آخر عهد النبي ﷺ إلا دخل في الإسلام ، ومامات النبي ﷺ وأحد منهم يظهر الكفر ، والله أعلم"[٤] .

---

(١) (٥) فتح الباري "٧ / ٥" .
(٢) صحيح البخاري / فتح الباري حديث رقم "١١٦" ، وصحيح مسلم حديث رقم "٢٥٣٧" .
(٣) صحيح مسلم احاديث رقم "٢٥٣٧ - ٢٥٣٩" .
(٤) الإصابة "١ / ١٣ - ١٥" .

الفصل الثالث

عدد الصحابة رضي الله عنهم عند وفاة رسول الله ﷺ

الصحابة رضي الله تعالى عنهم في نفس الأمر عدد لايحصون ، لكن يعرف الواحد منهم بوجود مايقتضي أنه كان في ذلك الوقت موجودا(١) .

وقد ثبت في الصحيحين عن كعب بن مالك في قصة تبوك "والناس كثير لايحصيهم ديوان"(٢) .

وقد تفرق الصحابة في القرى والأمصار ، فأصبح إحصاء عددهم متعذرا .

لكن قال أبو زرعة الرازي : "قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ، ممن روى عنه ، وسمع منه" .

فقيل له هؤلاء أين كانوا ، وأين سمعوا ؟ قال أهل المدينة ، وأهل مكة ، ومن بينهما والأعراب ومن شهد معه حجة الوداع ، كل رآه وسمع منه بعرفه ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين(٣) .

قلت : هذا العدد على وجه التقريب ، وليس على وجه التحديد ، وقد يكون العدد أكثر وكيف يمكن الإطلاع على تحرير ذلك مع تفرق الصحابة في البلدان والبوادي والقرى كما تقدم .

ووردت أقوال أخرى أيضا للعلماء والمختصين في بيان عدد الصحابة ، ذكر كل منهم حسب اطلاعه على أعدادهم ، من خلال شهودهم الأحداث والوقائع ، رضي الله تعالى عنهم . وقد بين ذلك السخاوي بقوله : "فكل حكى على قدر تتبعه ومبلغ علمه"(٤) .

(١ - ٤) الإصابة "١ / ٥ و ١٦" ، التقريب والتيسير "ص٩٣" ، تدريب الراوي "ص٤٠٥ - ٤٠٦" ، إختصار علوم الحديث / الباعث الحثيث "ص١٨٠" .

الفصل الرابع

عدالة الصحابة

رضي الله عنهم(١)

(١) العدالة : في اللغة "الإستقامة" ، وفي الشريعة "عبارة عن الإستقامة على طريق الحق بالإجتناب عما هو محظور في دينه" ، كذا في التعريفات للجرجاني "ص١٢٨" .

للصحابة بأسرهم خصيصة ، ليست لغيرهم من الناس ، وهي أنه لايسأل عن عدالة أحد منهم ، بل ذلك أمر مفروغ منه ، لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة[1] ، وكذلك القياس ، كما تقدم . أي أن عدالتهم ثابتة بالأدلة النقلية والعقلية القطعية .

ولهذا تقرر لدى العلماء والمختصين أنه لايجب البحث عن أحوالهم ، نذكر أقوال بعض كبار العلماء ، إضافة إلى مانقلناه آنفا عن ابن الصلاح في مقدمته .

قال أبو عمر ابن عبدالبر في الإستيعاب : "قد كفينا البحث عن أحوالهم ، لإجماع أهل الحق من المسلمين .. على أنهم كلهم عدول"[2] .

وقال الخطيب البغدادي في الكفاية في حق رواة الحديث : "يجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم"[3] .

وقد بين إمام الحرمين ، السبب في عدم الفحص عن عدالة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فيما نقله عنه جلال الدين السيوطي في تدريب الراوي : "قال إمام الحرمين والسبب في عدم الفحص عن عدالتهم ، أنهم حملة الشريعة ، فلو ثبت توقف في روايتهم ، لانحصرت الشريعة على عصره ﷺ ، ولما استرسلت على سائر الأعصار"[4] .

قلت : - أوجه الأسباب في ذلك - تعديل الله تعالى لهم ، في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، وإخباره عن طهارتهم ونزاهتم ، واختياره لهم في آيات وأحاديث كثيرة ، وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ، ولايحتاج أحد منهم مع تعديل الله ورسوله ﷺ له إلى تعديل أحد من الخلق .

---

(١) مقدمة ابن الصلاح "ص١٤٦" .

(٢) الإستيعاب "١ / ٨" .

(٣) الكفاية في علم الرواية "ص٦٣" .

(٤) تدريب الراوي "ص٤٠٠" .

ومن تلك النصوص الكثيرة ، والصريحة في الكتاب والسنة بتعديل جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطاً ﴾ ، قال الشوكاني في تفسيره : "وقد ثبت عن النبي ﷺ تفسير الوسط هنا بالعدل ، فوجب الرّجوع إليه"(١) .

قلت : وقد رواه البخاري في صحيحه ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**يُدعَى نُوحٌ يومَ القيامَةِ فيقولُ لَبيكَ وَسَعديكَ يارَب ، فيقولُ هَل بَلّغتَ ؟ فيقولُ نَعَم . فيُقَالُ لأمّتِه : هَل بَلّغَكُم ؟ فيقولون : ما أتانا مِن نَذِيرٍ ، فيقول : مَن يَشهَدُ لَكَ ؟ فيقول : مُحَمّدٌ وأمّتُه ، فَيَشهَدُونَ أنّهُ قَد بَلّغ ، ويكونَ الرسولُ عليكم شهيدا فذلك قوله جل ذكره ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمّةً وَسَطاً لِتكُونُوا شُهَداءَ على النّاسِ وَيَكُونَ الرّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدا ﴾ والوسط العدل**»(٢) .

قال في فتح الباري عن تفسير الوسط بالعدل هو مرفوع من نفس الخبر ، وليس بمدرج من قول بعض الرواة ، كما وهم فيه بعضهم . وسيأتي في [كتاب] الإعتصام ، بلفظ (وكذلك جعلناكم أمة وسطا عدلا)(٣) .

قلت : وقد ورد هذا الحديث في كتاب الإعتصام ، كما نبه إليه ابن حجر ، ١٩ - باب . "وكذلك جعلناكم أمة وسطا" ، وماأمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة ، وهم أهل العلم .

قال في فتح الباري هناك : "لتكونوا شهداء على الناس ، وشرط قبول الشهادة العدالة ، وقد ثبتت لهم هذه الصفة بقوله وسطا ، والوسط : العدل" .

قال : والآية التي ترجم بها احتج بها أهل الأصول لكون الإجماع حجة ، لأنهم

---

(١) الآية ١٤٣ / البقرة ، فتح القدير للشوكاني "١ / ١٣٠" .

(٢) فتح الباري "٨ / ١٧١ - ١٧٢" ، كتاب التفسير ، ١٣ - باب "وكذلك جلعناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" ، حديث رقم "٤٤٨٧" ، وعند ابن ماجه "كتاب الزهد" حديث رقم "٤٢٨٤" وصحيحه للالباني حديث رقم "٣٤٥٧" "يجيء النبي ومعه الرجلان ، ويجيء النبي ومعه الثلاثة ، واكثر من ذلك واقل ، فيقال له : هل بلغت قومك ..." الحديث . وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير" حديث رقم "٨٠٣٣ - ٣١٢٥" وعزاه لاحمد والنسائي وابن ماجه ، وقال صحيح .

(٣) فتح الباري "٨ / ١٧٢" تحت حديث رقم "٤٤٨٧"

عدلوابقوله تعالى جعلناكم أمة وسطا أي عدولا ، ومقتضى ذلك أنهم عصموا من الخطأ فيما اجمعوا عليه قولا وفعلا"(١) .

وروى البخاري في صحيحه وغيره : "خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم"(٢) .

قال النووي في شرح صحيح مسلم : "اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ (٣).

وقال ابن حجر في فتح الباري : "والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة رضي الله عنهم"(٤) .

فبهذه النصوص وغيرها كثير في الكتاب والسنة ، ثبتت العدالة لكل صحابي ، من تقدم إسلامه ومن تأخر ، ومن طالت صحبته ، ومن ظفر بمجرد اللقاء بالنبي ﷺ .

أما قول المازري في شرح البرهان ، الذي ذكره ابن حجر في الإصابة : "لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول ، كل من رآه ﷺ يوما ما ، أو زاره لماما ، أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كثب ، وإنما نعني به الذين لازموه ، وعزروه ، ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون"(٥) .

فقد رده العلماء لمخالفته قول الجمهور بعدالة جميع الصحابة بدون استثناء كما شرحته من قبل .

ولهذا قال ابن حجر في الإصابة : "أما كلام المازري فلم يوافق عليه ، بل اعترضه جماعة من الفضلاء ، وقال الشيخ صلاح الدين العلائي : هو قول غريب ، يخرج كثيرا من المشهورين بالصحبة ، والرؤية ، عن الحكم بالعدالة ، كوائل بن حجر ، ومالك بن الحويرث

---

(١) فتح الباري "١٣ / ٣١٦ - ٣١٧" حديث رقم "٧٣٤٩" .
(٢) فتح الباري "٧ / ٣" ، ١ - باب فضائل اصحاب النبي ﷺ - ، حديث رقم "٣٦٥١" .
(٣) شرح صحيح مسلم "١٦ / ٨٤" باب فضل الصحابة .
(٤) فتح الباري "٧ / ٥" .
(٥) الإصابة في تمييز الصحابة "١ / ١٩" .

وعثمان بن أبي العاص وغيرهم ، ممن وفد عليه ﷺ ، ولم يقم عنده إلا قليلا وانصرف ؛ وكذلك من لم يعرف إلا برواية الحديث الواحد ، ولم يعرف مقدار إقامته من أعراب القبائل . والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور ، وهو المعتبر ، والله سبحانه وتعالى أعلم"[1].

ثم قال ابن حجر : "وقد كان تعظيم الصحابة - ولو كان اجتماعهم به ﷺ قليلا - مقررا عند الخلفاء الراشدين ، وغيرهم"[2] .

وقال النووي في شرح صحيح مسلم : "وفضيلة الصحبة ولو لحظة ، لا يوازيها عمل ، ولاتنال درجتها بشيء ، والفضائل لاتؤخذ بقياس ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" ثم صحح هذا القول ، وقال : وعليه الأكثرون[3] .

وبهذا ثبتت العدالة لكل صحابي بدون استثناء بل وإن كان مجهولا ، وقد وردت أحاديث كثيرة في كتب السنة لم يسم فيها الصحابي راوي الحديث ، بل يأتي فيها "عن رجل من أصحاب النبي ﷺ " أو "عن بعض أصحاب النبي ﷺ " وقد اعتمد علماء الحديث مثل هذه الروايات ، إذا صح سندها إلى الصحابي ، وإن كان مجهولا ، ولذلك قالوا : جهالة الصحابي لاتضر .

وذكر في فتح الباري حديث ربعي بن خراش مرفوعا «لاتَقَدَّمُوا الشَّهرَ حَتَّى تَرَوا الهِلالَ أو تُكمِلُوا العِدَّةَ» الحديث ، ثم قال : "وقيل الصواب فيه عن ربعي عن رجل من الصحابة مبهم" قال : ولايقدح ذلك في صحته[4] .

قلت : والحديث أخرجه في سنن أبي داود[5] . وحديث آخر في سنن أبي داود أيضا

---

(١) الإصابة "١ / ١٩ - ٢٠" .

(٢) الإصابة "١ / ٢٠" ، وانظر تدريب الراوي "ص٣٨٩ - ٣٩٩" .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي "١٦ / ٩٣ - ٩٤" ، باب تحريم سب الصحابة .

(٤) فتح الباري "٤ / ١٢١" انظر حديث رقم "١٩١١" ، وذكر أن الحديث رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن خزيمة .

(٥) سنن أبي داود ، حديث رقم "٢٣٢٦" ، وأخرجه النسائي أيضا في سننه "١ / ٣٠١" ، كتاب الصيام ، «ذكر اختلاف على منصور في حديث ربعي فيه» ، وصححه الألباني أيضا في صحيح سنن أبي داود ، حديث رقم "٢٠٤٠" ،

عن ربعي بن خراش عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : اختلف الناس في آخر يوم من رمضان ، فقدم أعرابيان فشهدا عند النبي ﷺ بالله لأَهَلاَّ الهِلالَ أمسِ عَشِيَّةً ، فأمر رسول الله ﷺ الناس أن يُفطِرُوا ، زاد خلف في حديثه : وأَن يَغدُوا إلى مُصَلَّاهُم[1] . قال المحقق محمد محي الدين عبدالحميد : "قال البيهقي وأصحاب النبي ﷺ كلهم ثقات ، سواء سموا أو لم يسموا" قال : "يشير إلى أن الحديث مروي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ من غير تسمية ، وأن ذلك لايضر"[2] . وذكر الزيلعي في نصب الراية أن جهالة الصحابي غير قادحة في صحة الحديث[3] .

قلت : وقد وردت عدة أحاديث تنص على قبول النبي ﷺ قول الواحد منهم إذا علم إسلامه ، ولايسأل عن حاله .

منها حديث ربعي بن خراش ، الذي ذكرناه قبل قليل يحكي فيه عن شهادة الأعرابيين ، واعتماده ﷺ قولهما دون السؤال عن حالهما ، وغير ذلك أحاديث كثيرة منها ماأخرجه ابن ماجه في سننه ، عن أبي عمير بن أنس بن مالك ، قال حدثني عمومتي من الأنصار ، من أصحاب رسول الله ﷺ ، قالوا : **أُغمِيَ عَلَينَا هِلالُ شَوَّالٍ ، فَأَصبَحنَا صِيَاماً ، فَجَاءَ رَكبٌ مِن آخِرِ النَّهَارِ ، فَشَهِدُوا عِندَ النَّبِي ﷺ أَنَّهُم رَأَوُا الهِلالَ بِالأَمسِ ، فَأَمَرَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ أن يُفطِرُوا ، وَأَن يَخرُجُوا إلى عِيدِهِم مِنَ الغَدِ**[4] .

---

(١) سنن ابي داود "٢ / ٤٠٥" حديث رقم "٢٣٣٩" ، قال في التاج الجامع للاصول "٢ / ٥٦" رواه أبو داود ، وأحمد بسند صحيح ، وقال في منتقى الاخبار / نيل الاوطار "٤ / ٢١١" ، رواه أحمد وابو داود ، قال الشوكاني عقبه : «الحديث سكت عنه أبو داود ، والمنذري ، ورجاله رجال الصحيح ، وجهالة الصحابي غير قادحة» ، وأخرج الطبراني نحوه في الكبير كما خرجه في مجمع الزوائد "٣ / ١٥٠" ، كتاب الصيام ، باب في الاهلة ، وقوله : صوموا لرؤيته قال الهيثمي عقبه : «رواه الطبراني في الكبير ، وقال : لم يقل في هذا الحديث عن ابي مسعود إلا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ، قلت : وهو ثقة» ، وصححه الالباني أيضا في صحيح سنن أبي داود حديث رقم "٢٠٥١" .

(٢) المصدر السابق

(٣) نصب الراية "٢ / ٤٣٩" .

(٤) سنن ابن ماجه ، حديث رقم "١٦٥٣" ، قال الشوكاني في نيل الاوطار "٤ / ٢١١" «وصححه ابن المنذر وابن السكن وابن حزم» . قلت : وصححه الالباني أيضا في صحيح سنن ابن ماجه ، حديث رقم "١٣٤٠" .

وقد ذكر هذه الأحاديث وغيرها في منتقى الأخبار ، وذكر الشوكاني الأحكام التي استنبط منها العلماء ، وقال أن النبي ﷺ كان يقبل شهادتهم ، وأنه يكتفي بظاهر الإسلام(١) .

ومن أدل الأحاديث على المقصود ، مارواه أصحاب السنن وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ قال : جَاءَ أعرَابيٌّ إلى النَّبي ﷺ ، فَقَالَ : إنِّي رَأيتُ الهِلالَ ، قال الحَسَنُ [في حديثه] يَعنِي رَمَضَانَ ، فَقَالَ : «أتَشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ» قَالَ : نَعَم قَالَ : «أتَشهَدُ أنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ» قَالَ : نَعَم ، قَالَ : «يَابِلالُ أذِّن فِي النَّاسِ فَليَصُومُوا غَداً»(٢) .وهكذا ثبتت عدالة جميع الصحابة مطلقا ، حتى المجهولين منهم .

---

(١) نيل الأوطار "٤ / ٢١١" .

(٢) اخرجه ابو داود ، حديث رقم "٢٣٤٠" ، والترمذي "٦٨٦" ، والنسائي "٢١١٢" وابن ماجه "١٦٥٢" ، جميعهم في كتاب الصوم ، عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس .

وسماك هذا هو سماك بن حرب ، وهو من رجال مسلم . وقد ترجم له الذهبي في ميزان الإعتدال "٢ / ٢٣٢ - ٢٣٤" ، ترجمة رقم "٣٥٤٨" ، وقال عنه : «صدوق صالح ، من أوعية العلم، مشهور» وذكر انه قد احتج به مسلم في صحيحه ، كما ذكر اقوال العلماء فيه جرحا وتعديلا. وترجم له ايضا ابن حجر في تهذيب التهذيب "٤ / ٢٣٢ - ٢٣٤" ترجمة رقم "٣٩٥" ، ذكر اقوال العلماء فيه جرحا وتعديلا ، وانه كان قد تغير قبل موته .

اما حديثه هذا فقد اختلف فيه كما ذكره الترمذي في (سننه / تحفة الاحوذي "٣ / ٣٧٣") قال : «قال : أبو عيسى حديث ابن عباس فيه اختلاف ، وروى سفيان الثوري وغيره عن سماك بن حرب عن عكرمة عن النبي ﷺ مرسلا ، وأكثر أصحاب سماك رووا عن سماك عن عكرمة عن النبي ﷺ مرسلا» .

ومن ثم اختلف العلماء في تصحيح هذا الحديث ، فصححه الحاكم في المستدرك "١ / ٤٢٤" كتاب الصوم ، ووافقه الذهبي ، وقال علي القارىء في مرقاة المفاتيح "٢ / ٥٠٦" «صححه الحاكم ، وذكر البيهقي انه جاء من طرق موصولا ، ومن طرق مرسلا ، وإن كانت طرق الإتصال صحيحة» . وقال ابن حجر في بلوغ المرام "ص١٣٧" «وصححه ابن خزيمة وابن حبان ورجح النسائي إرساله» . وقال في (التلخيص الحبير) ١ /١٨٧ : «قال الترمذي : روي مرسلا ، وقال النسائي أنه أولى بالصواب ، وسماك إذا تفرد بأصل لم يكن حجة) . قلت : لكن دافع عنه ابن حبان بشدة كما نقله عنه الزيلعي في نصب الراية "٢ / ٤٣٥" قال : قال ابن حبان : «من زعم أن هذا الخبر تفرد به سماك ، وأن رفعه غير محفوظ ، فهو مردود بحديث ابن عمر قال : تراءى الناس الهلال ، فرأيته ، فأخبرت رسول الله ﷺ ، فصام وأمر الناس بصيامه» . قلت : وقد أخرج حديث ابن عمر هذا ابو داود في سننه تحت رقم "٢٣٤٢" ، وصححه جمع منهم الالباني في صحيح سنن أبي داود حديث رقم "٢٠٥٢" ، وإرواء الغليل حديث=

من ثم فقد حكى غير واحد من الأئمة الإجماع على عدالة جميع الصحابة رضي الله عنهم .

= رقم "٩٠٨" ، وانظر تخريجه فيه وفي تلخيص الحبير "١ / ١٨٧" . ونصب الراية "٢ / ٤٤٤" . وخرج الالباني حديث سماك في إرواء الغليل حديث رقم "٩٠٧" ، وكذلك في كتب السنن له ، وأعله بالإختلاف على سماك في هذا الحديث ، من حيث الوصل أو الإرسال.

ومبلغ القول في سماك انه ثقة احتج به مسلم في صحيحه كما تقدم ، واخرج له أصحاب السنن ، واحمد في سنده وغيرهم عدة أحاديث صحيحه ، وقد أثنى عليه العلماء ، والغالب فيه من أقوالهم التعديل . ونقل عنه في المصدرين السابقين الميزان والتهذيب في ترجمته انه قال : ادركت ثمانين من الصحابة ، وقال في التهذيب : وقال النسائي «ليس به باس ، وفي حديثه شيء» .

ومن الأحاديث التي أخرج له مسلم في صحيحه رقم "٢٢٧٧ ، ٢٣٢٢ ، ٢٣٣٩" جميعها عن جابر بن سمرة في صفات النبي ﷺ ٤٣ – كتاب الفضائل . أما ماأخرج له اصحاب السنن وغيرهم ، فحديث ابن عباس : لاتقدموا الشهر بصيام . . . الحديث ، وقد خرجه الالباني وفي إرواء الغليل "٤ / ٣" ، انظر حديث رقم "٩٠٢" ، وكذلك خرجه في كتب السنن ، روى هذا الحديث سماك عن عكرمة عن ابن عباس ، وانظر الحديثين رقم "١٩١٧ ، ٩٠٠" في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ، الحديث الأول رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : صوموا لرؤيته . . . الحديث ، قال الألباني عقب الحديث ، قلت : «وهذا إسناد جيد ، رجاله ثقات كلهم رجال مسلم ، وفي سماك كلام يسير» . أما الحديث الآخر ، فرواه سماك عن علقمة بن وائل الكندي عن أبيه ، ان إمرأة خرجت على عهد رسول الله ﷺ تريد الصلاة . . الحديث ، قال الالباني عقبة : «قلت رجاله ثقات كلهم رجال مسلم، وفي سماك كلام لايضر ، وهو حسن الحديث في غير روايته عن عكرمة ، ففيها ضعف» ، قلت حديث ابن عباس المتقدم رواه سماك عن عكرمة ، وقد صححه الألباني كما تقدم.

أما حديث سماك عن رؤية الأعرابي هلال رمضان وشهادته بذلك ، فله شواهد قوية كما ذكرها العلماء منها حديث ابن عمر في ثبوت هلال رمضان بشهادة الواحد كما تقدم ، وقال الترمذي في سننه : «والعمل على هذا الحديث عند اكثر اهل العلم ، قالوا تقبل شهادة رجل واحد في الصيام» . يعني حديث سماك المتقدم ، وانظر شرحه تحفة الأحوذي "٣ / ٣٧٣ – ٣٧٤" ونيل الأوطار "٤ / ٢٠٩ – ٢١١" . قلت : هذا فيما يتعلق بثبوت هلال رمضان بشهادة الواحد ، أما عن قبوله ﷺ قول الصحابي المجهول ، وهو موضوعنا ، فإن لحديث سماك هذ شواهد قوية أيضا ، وهي حديث ربعي الذي يحكي فيه عن شهادة الأعرابيين ، وحديث عمير الذي يحكي فيه شهادة الراكب ، كما تقدم شرحه ، وأحاديث صحيحة أخرى تؤيد ماذكرت ، والله تعالى أعلم .

فائدة : موضوع تخالف الثقات بالوصل والإرسال ، أو الرفع والوقف ونحوه ، فانظر بيانه في منظومة طلعة الأنوار وشرحها رفع الأستار "ص٩٠" ، وكذلك قواعد في علوم الحديث للتهانوي "ص١١٨ – ١١٩" . أما موضوع تغير أو اختلاط الثقة قبل موته فانظر مقدمة المحقق وكذلك المصنف في كتاب الإغتباط بمعرفة من رمي بالإختلاط ، وانظر كذلك الرفع والتكميل ، لأبي الحسنات اللكنوي ، والتعليق عليه لمحققه عبدالفتاح أبو غدة "ص١٦١ و ٩٣" ، وانظر قواعد في علوم الحديث "ص٢٧٩ – ٢٨٠" ، قال فيه : إنما يجرحون الراوي بقولهم تغير في آخره ، أو صار مختلطا ، وهذا ليس بجرح مالم يكثر منه ذلك ، وتمامه في الكتابين المذكورين ، وانظر ترجمة هشام بن عروة ، في الميزان ، للذهبي "٤ / ٣٠١" .

فقد ذكرنا قول ابن الصلاح ، وقول ابن عبدالبر في ذلك قبل قليل ، وقال ابن الصلاح في موضع آخر من كتاب علوم الحديث : "ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ، ومن لابس الفتن منهم ، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع ، إحسانا للظن بهم ، ونظرا إلى ماتمهد لهم من المآثر"(١) .

وقال الخطيب البغدادي في (الكفاية) بعد التأكيد على عدالة جميع الصحابة رضي الله عنهم : "هذا مذهب كافة العلماء ، ومن يعتد بقوله من الفقهاء"(٢) .

وذكر النووي في (التقريب) : "الصحابة كلهم عدول ، من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به"(٣) . وقال في (شرح صحيح مسلم) : "اتفق أهل الحق ، ومن يعتد به ، في الإجماع على قبول شهاداتهم ، ورواياتهم ، وكمال عدالتهم ، رضي الله عنهم أجمعين"(٤) .

وقال ابن حجر في (الإصابة) : "اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة"(٥) .

قال ابن الصلاح ، في (علوم الحديث) : "وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة ، والله أعلم"(٦) .

وما أبدع قول الخطيب البغدادي في (الكفاية) : "على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ، ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه ، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد والنصرة ، وبذل المهج والأموال ، وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة في الدين ، وقوة الإيمان

---

(١) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث "ص١٤٧" .

(٢) الكفاية "ص٦٦ و ٦٧" .

(٣) التقريب والتيسير "ص٩٢" .

(٤) شرح صحيح مسلم "١٥ / ١٤٩" ، كتاب فضائل الصحابة .

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة "١ / ١٧" .

(٦) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث "ص١٤٧" .

واليقين ، القطع على عدالتهم ، والإعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين ، الذين يجيؤون بعدهم أبد الآبدين . هذا هو مذهب كافة العلماء ، ومن يعتد بقوله من الفقهاء" (١).

قلت : هذا القول مبني على القياس ، وهو دليل عقلي .

وهكذا ثبتت عدالة جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالأدلة النقلية والعقلية ، بمصادر الشريعة المحمدية الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

هذا هو الحق الذي عليه جميع أهل الحق ، والسواد الأعظم من أمة محمد ﷺ وما بعد الحق إلا الضلال ، ومن شذ شذ في النار ، نعوذ بالله من النار ، ومن غضب الملك الجبار ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد شفيع المذنبين ، والمبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه وسلم ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) الكفاية "ص٦٦ و ٦٧" .

الفصل الخامس

تفضيل الصحابة

رضي الله تعالى عنهم أجمعين

كما تقدم أن المولى عز وجل قد مدحهم ، وذكر فضائلهم على لسان رسوله ﷺ في الكتاب والسنة ، وقد ذكرنا آيات وأحاديث في ذلك ، ونذكر هنا آيات خاصة بالصحابة .

قال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ وَأَعَدَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجرِي تَحتَهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾[1] .

أما الأحاديث فمنها ماذكره ابن حجر في (الإصابة) قال : "روى البزار في مسنده بسند رجاله موثوقون ، من حديث سعيد بن المسيب عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ اختَارَ أَصحَابِي عَلَى الثَّقَلَينِ سِوَى النَّبِيينَ وَالمُرسَلِينَ»[2] . وأورده الهيثمي في (مجمع الزوائد) مطولا ، وفي لفظه "على العالمين" مكان "على الثقلين"[3] .

وأخرج الطبراني عن عبدالله بن بسر قال : قال رسول الله ﷺ : «طُوبَى لِمَن رَآنِي وَآمَنَ بِي ، وَطُوبَى لِمَن رَأَي مَن رَآنِي ، وَلِمَن رَأَى مَن رَأَى مَن رَآنِي وَآمَنَ بِي ، طُوبَى لَهُم وَحُسنَ مَآب» . أورده الهيثمي في (مجمع الزوائد) والألباني في (صحيح الجامع الصغير) و(السلسلة الصحيحة)[4] .

هذه آيات وأحاديث في فضائل الصحابة . أما أقوال العلماء المستنبطة منها :

فقد قال أبو محمد بن حزم : "الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا" . قال الله تعالى : ﴿لاَيَستَوِي مِنكُم مَن أَنفَقَ مِن قَبلِ الفَتحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعظَمُ دَرَجَةً مِنَ الذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الحُسنَى﴾[5] . وقال تعالى : ﴿إِنَّ الذِينَ سَبَقَت لَهُم مِنَّا الحُسنَى

---

(١) التوبة / ١٠٠ .

(٢) الإصابة "١ / ٢١" .

(٣) مجمع الزوائد "١٠ / ١٨" قال : رواه البزاز ، ورجاله ثقات ، وفي بعضهم خلاف .

(٤) مجمع الزوائد "١٠ / ٢٣" قال : وفيه بقية وقد صرح بالسماع فزالت الدلسة ، وبقية رجاله ثقات . وخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم "٣٩٢٦" ، وقال صحيح . وكذلك السلسلة الصحيحة ، حديث رقم "١٢٥٤" ، أيضا أحاديث من رقم "٣٩٢٢" حتى "٣٩٢٧" خرجها الألباني في الجامع الصغير وصححها جميعها.

(٥) الحديد / ١٠ .

﴿أُولَئِكَ عَنهَا مُبعَدُونَ﴾[1] . فثبت أن الجميع من أهل الجنة ، وأنه لايدخل أحد منهم النار ، لأنهم مخاطبون بالآية السابقة[2] .

قلت : وكذلك قوله تعالى : (والسابقون الألون) الآية المذكورة في بداية هذا الفصل ، تدل على المقصود ، وقد ذكر الشوكاني في تفسير هذه الآية أن محمدا بن كعب القرظي قال : "إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ ، وأوجب لهم الجنة في كتابه ، محسنهم ومسيئهم قال : ألا يقرؤن قوله تعالى (والسابقون الأولون) الآية[3] .

وقد وردت أحاديث في هذا المعنى تؤيد ماذكره الشوكاني .

فقد أخرج الترمذي في سننه والضياء عن جابر بن عبدالله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لاتَمَسُّ النَّارُ مُسلماً رَآنِي أَو رَأَى مَن رَآنِي»[4] .

كما خرج الهيثمي في (مجمع الزوائد) حديثا عن عبدالرحمن بن عقبة عن أبيه ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «لايدخل النار مسلما رآني أو رأى من رآني..» الحديث[5] .

الصحابة كافة أفضل الأمة على الإطلاق:

ثبت بما تقدم أن جميع الصحابة أفضل هذه الأمة على الإطلاق .

كما ذكر ابن حجر في (الإصابة) أنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم ، والمعدلين الذين يجيؤون من بعدهم ، وقال : هذا مذهب كافة العلماء ، ومن يعتمد قوله[6] .

وذلك لأن الصحبة لايعدلها شيء ، كما تقدم .

---

(١) الانبياء / ١٠١ ر

(٢) الإصابة "١ / ١٩" .

(٣) فتح القدير "٢ / ٣٨٢" .

(٤) سنن الترمذي "تحفة الاحوذي ١٠ / ٣٦٠" ، حديث رقم "٤٩٤٩" ، قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقد ورد هذا الحديث في "مشكاة المصابيح" ايضا ، تحت رقم "٦٠٠٤" ، قال في شرحه "مرقاة المفاتيح ٥ / ٥٢١" وحسنه الترمذي . ونقله عنه الالباني في تعليقه على المشكاة ولم يزد .

(٥) مجمع الزوائد "١٠ / ٢٤" قال : رواه الطبراني ، في الكبير والأوسط . قال : وفيه من لم اعرفهم .

(٦) الإصابة "١ / ١٨" .

وقال ابن حجر في (فتح الباري) ، عقب الحديث «خير أمتي قرني ....» الحديث ، قال: "واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين ، والتابعون أفضل من اتباع التابعين»[1] .

أما حديث : «للعامل منهم أجر خمسين منكم» الذي أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة ونحوه من الأحاديث ، فقد قال ابن حجر في (فتح الباري) أنه لايدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة ، لأن مجرد زيادة الأجر ، لايستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة . وقال : والذي ذهب إليه الجمهور ، أن فضيلة الصحبة لايعدلها عمل ، لمشاهدة رسول الله ﷺ . وأما من اتفق له الذب عنه ﷺ والسبق إليه بالهجرة أو النصرة ، وضبط الشرع المتلقى عنه ، وتبليغه لمن بعده ، فإنه لايعدله أحد ممن يأتي بعده [ولو كان صحابيا كما سنشرحه بعد قليل ، فما بالك بغير الصحابي] ، لأنه مامن خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده ، فظهر فضلهم[2] . رضي الله تعالى عنهم .

قلت : هذا من باب : «من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ....» الحديث . رواه مسلم في صحيحه وغيره عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ [3] . وكذلك حديث : «من دعا إلى هدى ، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه،....» الحديث . رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ [4] .

كما صرح النووي في (شرح صحيح مسلم) : "أن ماعليه الجمهور هو تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم ، وقال : وفضيلة الصحبة ولو لحظة لايوزايها عمل"[5] .

---

(١) فتح الباري "٧ / ٦" فضائل الصحابة والحديث المذكور رقمه "٣٦٥٠ و ٣٦٥١" .
(٢) فتح الباري "٧ / ٧" . والحديث المذكور خرجه الألباني في ضعيف أبي داود "٩٣٤" وضعيف ابن ماجه "٨٦٩" ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . (تحفة الأحوذي "٥٠٥١") .
(٣) ١٢ - كتاب الزكاة ، "٢٠" باب الحث على الصدقة ... ، حديث رقم "١٠١٧" ، وتكرر مع الحديث الآتي .
(٤) ٤٧ - كتاب العلم ، "٦" باب من سن سنة حسنة أو سيئة ... ، حديث رقم "٢٦٧٤" .
(٥) "١٦" / ٩٣" فضائل الصحابة .

تفاوت الصحابة في الدرجات والمراتب :

كما أن الرسل فضل الله بعضهم على بعض ، ورفع بعضهم درجات ، فكذلك أتباعهم وأتباع أتباعهم ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[1] .

قال ابن حجر في (فتح الباري) : "والأصل في ذلك قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ ...﴾ الآية ، وتقدم ذكرها قبل قليل[2] .

وهذه الآية نص صريح في تفاوت الصحابة في الدرجات والمراتب[3] .

قلت : وكذلك الآية (والسابقون الأولون ....) الآية ، فيها تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على من بعدهم ، وقال الشوكاني في تفسير هذه الآية : "ومعنى الذين اتبعوهم بإحسان ، الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وهم المتأخرون عنهم من الصحابة ، فمن بعدهم إلى يوم القيامة"[4] .

قال في (إتحاف ذوي النجابة) : "وباعتبار تقدم الصحابة رضوان الله عليهم في هذه الأوصاف السبق إلى الإيمان والهجرة والنصرة ، يكونون طبقات متفاوتة في كثرة الثواب وعظمه بحسب درجاتهم"[5] .

وقال أحمد بن حنبل في تعريف الصحابي كما تقدم : "... له من الصحبة على قدر ماصحبه ﷺ ، وكانت سابقته معه ، وسمع منه ، ونظر إليه"[6] .

ونقلنا نحوه عن ابن حجر قبل قليل ، وقال في (نزهة النظر) : "لا خفاء برجحان رتبة من لازمه ﷺ ، وقاتل معه ، أو قتل تحت رايته ، على من لم يلازمه ، أو لم يحضر معه مشهدا

---

(١) الحسام المسلول "ص٦٠" ، الآية ١٦٣ آل عمران .
(٢) "٧ / ٦" ، فضائل الصحابة ، الآية "١٠ / الحديد" .
(٣) إتحاف ذوي النجابة "ص٥٩" .
(٤) فتح القدير "٢ / ٣٧٩" الآية "١٠٠ / التوبة" .
(٥) "ص٣٨" .
(٦) الكفاية "ص٦٩" .

وعلى من كلمه يسيرا ، أو ماشاه قليلا ، أو رآه على بعد ، أو حال الطفولة وإن كان شرف الصحبة حاصلا للجميع . ومن ليس له منهم سماع منه ﷺ فحديثه مرسل من حيث الرواية، وهم مع ذلك معدودون في الصحابة لما نالوه من شرف الرؤية"[١] .

وبهذا ثبت التفاوت بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الدرجات والمراتب ، وظهر فضل السابقين الأولين من الصحابة على من بعدهم من الصحابة ، فمن بعدهم إلى قيام الساعة ، رضي الله تعالى عنهم ، ورضي عنا بحبهم .

ويؤكده أيضا الحديث المتفق عليه : «لاتسبوا أصحابي ...» فإن هذا الحديث كذلك يدل على المقصود ، إذ الخطاب النبوي الشريف آنذاك للصحابة الموجودين إذ ذاك ، كما صرح به ابن حجر في (فتح الباري)[٢] .

قلت : يؤكد ذلك ، الحدث الذي كان سببا لورود هذا الحديث ، فقد أخرجه مسلم في (صحيحه) عن أبي سعيد ، قال : كان بين خالد بن الوليد ، وبين عبدالرحمن بن عوف شيء فسبه خالد ، فقال رسول الله ﷺ : **«لاتَسُبُّوا أحَداً مِن أصحَابِي . فَإنَّ أحَدَكُم لَو أنفقَ مِثلَ أحُدٍ ذَهَباً ، مَا أدرَكَ مُدَّ أحَدِهِم ولَا نَصِيفَهُ»**[٣] .

والقول الذي وجهه خالد إلى عبدالرحمن كان في صميم هذا الموضوع ، وجاء ذلك صريحا في رواية أنس عند أحمد بن حنبل ، فقد روى أحمد في (مسنده) عن أنس رضي الله عنه ، قال : كان بين خالد بن الوليد وعبدالرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبدالرحمن : "تَستَطِيلُونَ عَلَينَا بِأيَّامٍ سَبَقتُمُونَا بِهَا" ، فبلغنا أن ذلك بلغ النبي ﷺ ، فقال : **«دَعُوا لِي أصحَابِي فَوَ الَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَو أنفَقتُم مِثلَ أحُدٍ أو مِثلَ الجِبَالِ ذَهَباً مَابَلَغتُم أعمَالَهُم»**[٤] .

---

(١) "ص٥٦" .
(٢) "٧ / ٣٤" .
(٣) صحيح مسلم ، حديث رقم "٢٥٤١" .
(٤) خرجه في مجمع الزوائد "١٠ / ١٩" ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

هكذا يبين النبي ﷺ لأمته ، الصحابة فمن بعدهم أفضلية السابقين الأولين من أصحابه على من بعدهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة ، كما بينته الآية الشريفة التي ذكرتها قبل قليل .

طبقات الصحابة رضي الله تعالى عنهم :

ثبت بما تقدم تفاوت الصحابة في الدرجات والمراتب ، وقد فصل ذلك ووضح الحاكم النيسابوري ، بحسب النظر الدقيق إلى سبقهم في الإسلام ، والهجرة ، والنصرة ، وشهود المشاهد ، فجعلهم اثني عشرة طبقة .

وقد استحسنها العلماء من بعده ، وذكروها في كتبهم[1] .

وأحبذ أن أذكرها هنا إتماما للفائدة :

الأولى : قوم أسلموا بمكة ، كالخلفاء الأربعة ، وغيرهم .

الثانية : أصحاب دار الندوة ، الذين أسلموا بعد إسلام عمر بن الخطاب .

الثالثة : المهاجرة إلى الحبشة .

الرابعة : الذين بايعوا النبي ﷺ عند العقبة الأولى .

الخامسة : أصحاب العقبة الثانية .

السادسة : أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ ، وهو بقباء ، قبل أن يدخل المدينة ، ويبني المسجد .

السابعة : أهل بدر .

الثامنة : المهاجرة الذين هاجروا بين بدر والحديبية .

---

(١) انظر الكتب : علوم الحديث ، للحاكم "ص٢٢ – ٢٣" تدريب الراوي "ص٤٠٧" ، علوم الحديث ومصطلحه ، د . صبحي الصالح "ص٣٥٥ / ٣٥٦" ، منهج النقد في علوم الحديث ، د . نورالدين عتر "ص١١٩ / ١٢٠" .

التاسعة : أهل بيعة الرضوان .

العاشرة : المهاجرة بين الحديبية والفتح .

الحادية عشرة : هم الذين أسلموا يوم الفتح .

الثانية عشرة : صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح ، وفي حجة الوداع ، وغيرها ، وعدادهم في الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين .

الفصل السادس

بيان ما ورد في الحث على تعظيم جميع الصحابة وحبهم، والذب عنهم والنهي عن سبهم

الحث على تعظيم جميع الصحابة ، وحبهم رضي الله عنهم :

بناء على كل ماتقدم في بيان فضائل الصحابة ، يجب على المسلم المحب لله تعالى ورسوله ﷺ أن يحب جميع الصحابة ، ويعظمهم غاية التعظيم ، لأنهم رضي الله عنهم سادة هذه الأمة ، ولهم من الفضل والسبق والكمال الذي لايلحقهم فيه أحد من هذه الأمة .

قال ابن حجر في (الإصابة) : "والأحاديث الواردة في تفضيل الصحابة كثيرة ، من أدلها على المقصود ما رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث عبدالله بن مغفل قال : قال رسول الله ﷺ : **«الله الله في أصحَابي ، لا تتَّخِذُوهُم غرضاً بَعدِي ، فَمَن أحبَهُم فبِحُبي أحبَهُم ، ومَن أبغضَهُم فبِبُغضِي أبغضَهُم ، ومَن آذاهُم فقَد آذانِي ، ومَن آذانِي فقَد آذى اللهَ ، ومَن آذى اللهَ يوشِكُ أن يأخُذَهُ»**(١) .

---

(١) الإصابة "١ / ١٨" ، سنن الترمذي ، حديث رقم "٣٩٥٤" تحفة الأحوذي ، تحت ترجمة "في من سب النبي ﷺ" ، قال الترمذي : "هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه" ، ورواه أحمد في مسنده "٥ / ٥٤ – ٥٥ ، ٥٧" ، وفي فضائل الصحابة "١ / ٤٧ – ٤٨" .

قلت : وقد ضعف هذا الحديث لجهالة حال عبدالرحمن بن زياد ، قال المناوي في فيض القدير "٢ / ٩٨" حديث رقم "١٤٤٢" ، قال الصدر المناوي : وفيه عبدالرحمن بن زياد ، قال الذهبي : لايعرف ، وفي الميزان ، في الحديث اضطراب أهـ . قلت : إنما وصفه بالإضطراب – والله تعالى أعلم – للإختلاف في إسناده على عبدالرحمن بن زياد ، وقد بينه الضياء المقدسي في كتابه "كتاب النهي عن سب الأصحاب ص٣٧ – ٣٨" ، فقد روى هذا الحديث بسنده إلى عبيدة بن أبي رائطة ، ثم قال : قال : حدثني عبدالرحمن بن زياد – أو عبدالرحمن بن عبدالله – عن عبدالله بن مغفل ، ثم قال بعد ذكر الحديث : هكذا رواه الإمام أحمد رضي الله عنه في مسنده ، وقد رواه بعض المحدثين : عن إبرهيم بن سعد ، عن عبيدة بن أبي رائطة ، عن عبدالله بن عبدالرحمن بغير شك ، والله أعلم . أهـ . ثم أورد تلك الرواية أيضا . قلت : قد رواه الترمذي عن عبدالرحمن بن زياد بدون شك ، وأورده ابن كثير في تفسيره "٣ / ٥١٧" عن إبراهيم بن سعد عن عبيدة بن أبي رائطة عن عبدالرحمن بن زياد هكذا بدون شك ، وعزاه للإمام أحمد . ثم ذكر إسناد الترمذي أيضا ولم يذكر الخلاف ، ولم يذكر الخلاف أيضا في شرح سنن الترمذي تحفة الأحوذي "١٠ / ٣٦٥" وترجم لعبدالرحمن بن زياد بقوله : أمير خراسان ، روى عن عبدالله بن مغفل وعنه عبيدة بن أبي رائطة ، قال ابن معين : لا أعرفه ، ووثقه ابن حبان . وقد قام محققا كتاب الضياء المقدسي المتقدم ذكره بتخريج هذا الحديث تخريجا مطولا "ص٣٧ – ٤٠" ، قال في "ص٣٨" : عبدالرحمن بن زياد ، وقيل : ابن عبدالله ، وقيل عبدالله بن عبدالرحمن ، قال ابن معين : لايعرف ، ولم يوثقه إلا ابن حبان في الثقات ، لم يرو عنه غير عبيدة بن أبي رائطة ، وذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا ، فهو مستور . التاريخ الكبير ٥ / ١٣١ ، الجرح والتعديل ٥ / ٩٤ ، الثقات ٥ / ٤٦ ، الميزان ٢ / ٥٦٤ .

أي اتقوا الله ثم اتقوا الله في إصحابي أي في حقهم ، والمعنى لاتنقصوا من حقهم ولاتسبوهم ، أو التقدير : أذكركم الله ثم أنشدكم الله في حق أصحابي وتعظيمهم وتوقيرهم كما يقول الأب المشفق : الله الله في حق أولادي[1] .

قلت : ويؤيده حديث عمر بن الخطاب الآتي ، فقد روى الترمذي وابن ماجة في

= ومبلغ القول أن الحديث ضعف للإضطراب في سنده كما تقدم ، ومع ذلك تؤيده الآيات والأحاديث التي وردت في الحث على حب الصحابة وتوقيرهم ، والنهي عن بغضهم وانتقاصهم ، وقد ذكرنا الكثير منها .

وقد استحسن غير واحد من أهل الحديث إيراد هذا الحديث في فضائل الصحابة ، وتبعهم على ذلك العلماء ، وقد ذكرنا قول ابن حجر فيه في بداية هذا الفصل ، وذكرنا إيراد ابن كثير له في تفسيره قبل قليل ، أما الحافظ زين الدين العراقي فعند قول الإمام أبي حامد الغزالي في "إحياء علوم الدين ١ / ٩٣" : "وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله ﷺ وعليهم أجمعين" قال العراقي : "حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم ، أخرجه الترمذي من حديث عبدالله بن مغفل : الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي ......" أهـ . وجعله أحمد بن حنبل أول الأحاديث في "فضائل الصحابة" ، وسيأتي إستشهاد الإمام العيني قريبا بهذا الحديث .

وقد وردت أحاديث صحيحة نحو هذا الحديث : منها حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه "أوصيكم بأصحابي ...." وسنذكره بتمامه بعد هذا الحديث إن شاء الله تعالى . وأحاديث أخرى في كتب السنن وغيرها ، منها : ماأخرجه ابن ماجه في (سننه) (١ /٥٧) . حديث رقم (١٦٣) ، عن البراء بن عازب ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب الأنصار أحبه الله . ومن أبغض الأنصار أبغضه الله » وخرجه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ، حديث رقم "١٣٤" والسلسلة الصحيحة ، حديث رقم "٩٩١" ، وصحيح الجامع الصغير ، حديث رقم "٥٩٥٣" وقال صحيح . وعند الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب الأنصار فبحبي أحبهم ، ومن أبغض الأنصار فببغضي أبغضهم » وخرجه في "مجمع الزوائد ١٠ / ٤٢" تحت ترجمة "فضل الأنصار" ، وقال : "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير النعمان بن مرة ، وهو ثقة" أهـ . وورد في صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم "٥٩٥٤" ، وابن ماجة في سننه حديث رقم "١٤٣" وصححه للألباني ، حديث رقم "١١٧" ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني » . قال في (الزوائد) : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات أهـ . وعزاه في الجامع الصغير لأحمد والحاكم أيضا ، وقال الألباني حسن ونحوه حديث رقم "٥٩٢٢" في حق العباس ورقم "٥٩٢٤" في حق علي ، في صحيح الجامع وغير هذه الأحاديث كثيرة في هذا الموضوع .

وفي تفسير ابن كثير "٣ / ٥١٧" في تفسير الآيتين رقم "٥٧ ، ٥٨ الأحزاب" : (إن الذين يؤذون الله ورسوله ....) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات .....) أورد هذا الحديث . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) مرقاة المفاتيح "٥ / ٥٢٢" باب مناقب الصحابة ، تحفة الأحوذي "١٠ / ٣٦٥" ، حديث رقم "٣٩٥٤" تحت ترجمة : « في من سب أصحاب النبي ﷺ » .

سننهما وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ... أن رسول الله ﷺ قال : «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ......»[١] ، وفي لفظ : «احفظوني في أصحابي ثم .... ثم ....»[٢] ، وفي لفظ : «أحسنوا إلى إصحابي ثم .... ثم ....»[٣] ، وفي لفظ : «أكرموا أصحابي ثم .... ثم ....»[٤] . وأورده في (مشكاة المصابيح) بلفظ : «أكرموا أصحابي فإنهم خياركم ثم .... ثم ....»[٥] ولم يعزه لأحد .

فكل هذه الألفاظ تدل على المعنى الذي ذكرناه ، قال المناوي في (فيض القدير) : "أي راعوا حرمتي وارقبوني فيهم ، واقدروهم حق قدرهم ، وكفوا ألسنتكم عن غمطهم ، أو الوقيعة فيهم بلوم أو تعنيف»[٦] .

---

(١) سنن الترمذي ، حديث رقم "٢٢٥٤" تحفة الاحوذي ، باب لزوم الجماعة .

(٢) سنن ابن ماجة "٢٣٦٣" باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد .

(٣) الطحاوي في شرح معاني الآثار "٤ / ١٥٠ - ١٥١" كتاب القضاء والشهادات ، باب الرجل يكون عنده شهادة ، وانظر حديث رقم "٤٣٠" في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" للألباني .

(٤) المصدر السابق للطحاوي ، وأبو داؤد الطيالسي في "مسنده" ، حديث رقم "٢٦٤٢" ، في مناقب عمر ، باب ماجاء في بعض خطبه .

(٥) حديث رقم "٦٠٠٣" .

والحديث صححه الترمذي ، والحاكم ووافقه الذهبي ، وصححه ابن حبان أيضا كما أفاده الشوكاني في "نيل الأوطار ٨ / ٣٢٣" ، كما صححه علي القاري في "مرقاة المفاتيح" والالباني في "مشكاة المصابيح" ، و"صحيح الجامع الصغير" ، حديث رقم "٢٠٦ - ٨١" و "٢٥٤٦" ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ، حديث رقم "٤٣٠" . وانظر تخريجه في "مرقاة المفاتيح ٥ / ٥٢١" ، ومشكاة المصابيح "٣ / ٢١٨" ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة "١ / ٧١٧ - ٧١٨" .

ولإشتمال هذا الحديث على فوائد جمة أحببت أن أذكره بتمامه هنا ، وهو كما عند الترمذي ، عن ابن عمر قال : خطبنا عمر بالجابية فقال : يا أيها الناس : إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال : أوصيكم باصحابي ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ، ويشهد الشاهد ولا يستشهد . الا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان ، عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد . من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة . من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن" .

(٦) "١ / ١٩٧" ، انظر حديث رقم "٢٦٧" .

فهم نجوم الإهتداء وأئمة الإقتداء ، وأمنة لهذه الأمة ، كما وصفهم النبي ﷺ ، فيما أخرجه مسلم في (صحيحه) من حديث أبي بردة عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال : **«النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ .فَإِذَا ذَهَبَت النُّجُومُ أتى السماءَ ما تُوعَدُ . وَأَنَا أَمَنَةٌ لأصحَابِي . فَإِذا ذَهَبتُ أتى أصحَابي مايُوعَدُونَ ، وأصحابي أمنةٌ لأمتي . فإذا ذَهَبَ أصحابي أتى أمّتي مايُوعَدُونَ»**[1] .

الحث على الذب عن الصحابة رضي الله عنهم :

ذكرنا في المقدمة أن سب الصحابي ، أو انتقاصه منكر ، يجب على المسلم النهي عنه .

وهكذا فهمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، فقد أخرج أبو داود في (سننه) عن رياح بن الحارث ، قال : كنت قاعدا عند فلان في مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة ، فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، فرحب به وحياه وأقعده عند رجله على السرير ، فجاء رجل من أهل الكوفة يقال له قيس ابن علقمة فاستقبله فسب وسب ، فقال سعيد : من يسب هذا الرجل ؟ فقال : يسب عليا ، قال : ألا أرى أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير ، .... ثم قال : لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه خير من عمل أحدكم عمره ولو عمر عمر نوح[2] .

هكذا علمه الصحابة من فعل رسول الله ﷺ وقوله ، فقد كان يشتد غضبه إن أوذي أحد من أصحابه قولا أو فعلا ، وكان ﷺ يذب عن أصحابه رضي الله عنهم متى ما رأى أو بلغه ذلك ، وقصة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مشهورة ومروية في الكتب فانظرها في مناقب أبي بكر الصديق ، فقد أوذي أبو بكر ، وغضب النبي ﷺ لذلك غضباً شديداً حتى أشفق أبو بكر ، وقد ذكرنا حديث «لاتسبوا أحدا من أصحابي ...» وبينا سبب ورود هذا

---

(١) حديث رقم "٢٥٣١" ، كتاب فضائل الصحابة .

(٢) حديث رقم "٤٦٥٠" ، ١٦٨٥ – باب في الخلفاء ، وخرجه الألباني في "صحيح سنن أبي داؤد" "٣٨٨٧" وقال صحيح .

الحديث ، وغيره من الأحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها ، منها ما أخرجه الشيخان فيصحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : أمر رسول الله ﷺ بالصدقة ، فقيل : منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبدالمطلب ، فقال النبي ﷺ : «ماينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله ورسوله ، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا ، قد احتبس أدراعه وأعتده في سبيل الله ، وأما العباس بن عبدالمطلب فعمّ رسول الله ﷺ فهي عليه صدقة ومثلها معها»(١) . قال في (فتح الباري) : "زاد ابن أبي الزناد عن أبيه عند أبي عبيد : «أن يعطوا الصدقة» ، قال : فخطب رسول الله ﷺ فذب عن اثنين العباس وخالد"(٢) .

وفي (الصحيحين) أيضا وردت قصة استشهاد عامر بن الأكوع بسيفه ، فزعم البعض أن عامرا أحبط عمله ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : «كذب من قاله . إن له لأجرين» وجمع بين أصبعيه «إنه لجاهد مجاهد . قل عربي مشى بها مثله» ، والحديث طويل فانظره في الصحيحين وغيرهما(٣) وسيأتي إن شاء الله تعالى في الباب الثالث .

هكذا كان النبي ﷺ يذب عن أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، واقتدى به أصحابه في ذلك ، وقد نقلنا حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في ذلك ، وروى عنه الطبراني أنه قال : «تأمروني بسب أصحابي ، بل صلى الله عليهم ، وغفر لهم»(٤) .

وسمعت عائشة رضي الله تعالى عنها ، أم مسطح بن أثاثة ، تقول : «تعس مسطح» ، فاستعظمت ذلك عائشة ! صحابي بدري يُسَبُّ عندها ! إنه قبيح وأي قبيح ، ولو كانت السابَّةُ أمه ، فبادرتها بالقول ، معنفة إياها : "**بِئسَ ماقُلتِ ، تَسُبِّينَ رَجُلاً شَهِدَ بَدراً**"(٥) .

---

(١) صحيح البخاري "١٤٦٨ فتح الباري" ، كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى : (وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله) ، وصحيح مسلم "٩٨٣" ، ٣ – باب في تقديم الزكاة ومنعها ، وانظر شرح النووي "٧ / ٥٦" .

(٢) ٣ / ٣٣٣ .

(٣) صحيح البخاري "٤١٩٦" فتح الباري ، واللفظ له ، وصحيح مسلم "١٨٠٢" ، كلاهما باب غزوة خيبر .

(٤) خرجه في "مجمع الزوائد" "١٠ / ٢٤" ، كتاب المناقب ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

(٥) صحيح البخاري : حديث رقم "٤٠٢٥" فتح الباري – كتاب المغازي ، ١٢ – باب . واللفظ له ، صحيح مسلم "٢٧٧٠" ، كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك ، وقبول توبة القاذف .

النهي عن سب أو بغض الصحابة رضي الله عنهم :

ذكرنا في المقدمة أنه تقرر لدى علماء المسلمين أن سب أحد من الصحابة أو إنتقاصه من أكبر الكبائر وأفجر الفجور ، وذلك لما ورد عن رسول الله ﷺ من المبالغة الأكيدة في التحذير عن سب أو نقص أحد من أصحابه رضي الله تعالى عنهم .

وقد ذكرنا الآيات والأحاديث في ذلك ، وكذلك ورد النهي عن بغض أحد من الصحابة ، فقد روى الضياء المقدسي في كتابه (كتاب النهي عن سب الأصحاب ومافيه من الإثم والعقاب) بسنده عن الإمام مالك بن أنس أنه ذكر عنده رجل ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ ، فقرأ مالك هذه الآية (محمد رسول الله والذين معه) حتى بلغ «يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار» ، فقال مالك : من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية[1] .

وأفاد ابن كثير في (تفسيره) أن مالكا حكم بكفر الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم لهذه الآية ، قال : ووافقه طائفة من العلماء على ذلك[2] .

وأخرج الشيخان وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : **«آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنصَارِ ، وآيَةُ النِّفَاقِ بُغضُ الأَنصَارِ»**[3] . هذا لفظ البخاري(٣) ، وعند أحمد من حديث أبي سعيد : **«حُبُّ الأَنصَارِ إِيمَانٌ ، وبُغضُهُم نِفَاقٌ»**[4] . ولمسلم عدة أحاديث في هذا المعنى(٥) منها : **«حُبُّ الأَنصَارِ آيَةُ الإِيمَانِ ، وبُغضُهُم آيَةُ النِّفَاقِ»** ، وعن علي كرم الله جهه ورضي عنه قال : والذي فلق الحبَّة وبرأ النَّسَمَة إِنَّهُ لَعَهدُ النبي الأُمي ﷺ إِلَيَّ : **«أن لايُحِبَّنِي إلا مُؤمِنٌ ، ولايُبغِضَنِي إلا مُنَافِقٌ»** ، وترجم مسلم في صحيحه لهذا الباب : «باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهمّ من الإيمان ، وعلاماته ، وبغضهم من علامات النفاق»[5] .

---

(١) ص٨٥ ، ورواه أبو نعيم في (الحلية) "٤ / ٣٢٧" ، كما ذكره المحققان .

(٢) ٤ / ٢٠٤ ر

(٣) حديث رقم "١٧ فتح الباري" ١٠ – باب علامة الإيمان حب الأنصار .

(٤) فتح الباري "١ / ٦٣" تحت الحديث المتقدم رقم "١٧" .

(٥) الأحاديث رقم "١٢٨ – ١٣١" ، الباب "٣٣" باب الدليل على أن حب الأنصار ....

قلت : وردت أحاديث عامة في الصحابة في هذا المعنى ، وقد ذكرنا بعضها .

وقال الإمام بدرالدين العيني في (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) : "..... لأن المقصود من الحديث الحث على حب الأنصار ، وبيان فضلهم لما كان منهم من إعزاز الدين ، وبذل الأموال والأنفس والإيثار على أنفسهم والإيواء والنصر وغير ذلك . قالوا : وهذا جاء في أعيان الصحابة كالخلفاء وبقية العشرة والمهاجرين ، بل في كل الصحابة ، إذ كل واحد منهم له سابقة وسالفة وغناء في الدين وأثر حسن فيه ، فحبهم لذلك المعنى محض الإيمان ، وبغضهم محض النفاق ، ويدل عليه ماروي مرفوعا في فضل الصحابة كلهم : «من أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»[1] .

ويجدر بنا في هذا المقام أن ننبه المسلم أنه كما لايجوز سب أو بغض جميعهم ، كذلك لايجوز سب أو بغض أي فرد منهم ، رضي الله تعالى عنهم ، وقد قال النبي ﷺ : **«لاتسبوا أحدا من أصحابي ......»** الحديث ، كما تقدم[2] .

أما بغض أحدهم فكذلك لايجوز ، وقد أوردنا حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قبل قليل ، وقال العيني في (عمدة القاري) ، نقلا عن القرطبي : "... فمن وقع له بغض في أحد منهم والعياذ بالله لشيء من ذلك ، فهو عاص ، يجب عليه التوبة ومجاهدة نفسه بذكر سوابقهم ، وفضائلهم ، ومالهم على كل من بعدهم من الحقوق ، إذ لم يصل أحد من بعدهم لشيء من الدين والدنيا إلا بهم وبسببهم ، قال الله تعالى ﴿ .... **والذين جاءوا من بعدهم ......** ﴾ الآية[3] .

هكذا ثبت بالكتاب والسنة الحث والحض على تعظيم جميع الصحابة ، وحبهم وحسن الظن بهم.

---

(١) ١ / ١٧٣ ، باب علامة الإيمان حب الأنصار .

(٢) تقدم برواية مسلم .

(٣) ١ / ١٧٣ ، باب علامة الإيمان حب الأنصار .

فيجب أن نحسن الظن فيهم جميعا رضي الله تعالى عنهم ، حتى من لابس الفتن منهم ، وما حصل بينهم من خلاف ، لأنهم كلهم كانوا مجتهدين ، فلا نتعرض لأحد منهم بسوء ، ونكل أمرهم إلى الله تعالى ، عملا بما ورد عن النبي ﷺ : «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**......» الحديث رواه الطبراني وغيره[١] .

أي إذا ذكر أصحابي بما شجر بينهم من الحروب والمنازعات فأمسكوا وجوبا عن الطعن فيهم والخوض في ذكرهم بما لايليق فإنهم خير الأمة وخير القرون ، ولما جرى بينهم محامل[٢] .

فهذه الأحاديث النبوية الشريفة تحثنا على التأدب التام مع الصحابة ، وحسن الظن بهم ، والكف عن القدح فيهم ، وتطلب المحامل الحسنة والتأويلات اللائقة بقدرهم فيما ينقل عنهم بعد التأكد من صحة ذلك عنهم ، لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كما تقدم هم الذين حملوا ونقلوا إلينا الشرع الذي تلقوه عن رسول الله ﷺ ، فمتى تطرقت الأوهام إلى القدح فيهم انخرمت عدالتهم ، وردت رواياتهم وشهاداتهم فيؤدي ذلك إلى هدم أركان الشرع من أصله[٣] . وقد حذر من ذلك العلماء في كتبهم .

فقد روى الحافظ ضياءالدين المقدسي في كتابه (النهي عن سب الأصحاب) ، بسنده عن عبدالله بن مصعب قال : «قال لي أمير المؤمنين : يا أبا بكر ، ما تقول في الذين يشتمون أصحاب رسول الله ﷺ . فقلت : زنادقة يا أمير المؤمنين ، قال : ماعلمت أحدا قال هذا غيرك ! فيكف ذلك ؟ قلت : إنما هم قوم أرادوا رسول الله ﷺ فلم يجدوا أحدا من

---

(١) خرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد) "٧ / ٢٠٥" باب النهي عن الكلام في القدر ، عن عبدالله بن مسعود ، وقال : رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبدالملك ، وثقه ابن حبان وغيره ، وفيه خلاف ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير (فيض القدير) ، حديث رقم "٦١٥" ، وخرجه الالباني في صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم (٥٤٥) ، وقال : «صحيح» ، وعزاه إلى الطبراني عن ابن مسعود ، وابن عدي عنه وعن ثوبان ، وابن عدي عن عمر ، كما خرجه الالباني في "سلسلة الاحادث الصحيحة" ، حديث رقم "٣٤" ، وتوسع في تخريجه .

(٢) فيض القدير ، حديث رقم "٦١٥" .

(٣) انظر الحسام المسلول "ص٥٦" .

الأمةيتابعهم على ذلك فيه ، فشتموا أصحابه رضي الله عنهم ، يا أمير المؤمنين ما أقبح بالرجل أن يصحب صحابة السوء ، فكأنهم قالوا : رسول الله صحب صحابة السوء"(١) .

قلت : ويؤيده ماأرواه الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية) بسنده إلى الحافظ أبي زرعة الرازي ، قال : "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة ، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ، ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة"(٢) .

وقد أصاب رحمه الله تعالى ، فالصحابة رضي الله تعالى عنهم ، هم شهودنا الذين حملوا مع رسول الله ﷺ أعظم رسالات الله تعالى ، وكانوا أصدق أعوانه على تبليغها ، كما تقدم بيانه .

وهم شهداء الله تعالى ، ورسوله ﷺ ، فقد خاطبهم الله تعالى بقوله ﴿ ...... **لتكونوا شهداء على الناس** ...... ﴾(٣) ، وقال رسول الله ﷺ مخاطبا لهم (أنتم شهداء الله في الأرض)(٤) ، وعند انشقاق القمر قال النبي ﷺ للصحابة : «اشهدوا» ، فقد أخرج البخاري في صحيحه وغيره عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : "انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ فصار فرقتين ، فقال لنا : اشهدوا ، اشهدوا"(٥) .

فقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم شهداء الله ورسوله بحق ، ولشدة حرصهم على نقل كل أخبار النبي ﷺ حرفيا ، كما رأوا وسمعوا ، يستخدمون أثناء تحدثهم بذلك أدق العبارات التي تؤكد أنهم شهدوها وحضروها ، وسمعوها من النبي ﷺ ، فحفظوها ووعوها

---

(١) "ص٨٣" .
(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في كتابه (الإصابة) "١ / ١٨" ، وانظر (الكفاية) ، "ص٦٧" .
(٣) البقرة / ١٤٣ ,
(٤) صحيح البخاري ، فتح الباري ، حديث رقم "١٣٦٧" ، ٨٥ - باب ثناء الناس على الميت ، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه .
(٥) فتح الباري ، حديث رقم "٤٨٦٥" ، كتاب التفسير ، ١ - باب (وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا) .

فنقلوها إلى غيرهم كذلك ، ومن تلك العبارات : قول الصحابي أبي شريح الخزاعي وهو يروي حديث «وليبلغ الشاهد الغائب : «سمعته أذناي ووعاه قلبي ، وأبصرته عيناي حين تكلم به» يعني النبي ﷺ [١] ، ومنها قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : "أشهد على النبي ﷺ ... خرج ومعه بلال.."[٢].

وغيرها أحاديث كثيرة عبر الصحابي عند أدائها بألفاظ تدل على حرصه الشديد على تلقي الحديث من في رسول الله ﷺ ، والمبالغة في ضبطه وحفظه ووعيه ، والتأكيد على حضوره وشهوده للواقعة التي يرويها ، بل ومحاكاته لأفعال النبي ﷺ ، كما في الأحاديث المسلسلة ، وغيرها .

وهكذا حفظ لنا الصحابة رضي الله تعالى عنهم السنة النبوية الشريفة ، إلى جانب القرآن الكريم ، وكانوا أصدق وأعدل شهود على ذلك .

وبذلك تحقق قول الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾[٣].

ومن ثم كان الطعن فيهم طعن في الدين ، طعن في الكتاب والسنة ، وقد ذكرنا الآيات والأحاديث التي ورد فيها التغليظ في التحذير ، والتشديد في النهي عن بغض الصحابة ، أو نقصهم ، أو سبهم .

كيف والخوض في عرض أي مسلم ، ولو غير صحابي يعد من أكبر الكبائر ، فما بالك بأصحاب رسول الله ﷺ .

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في هذا المعنى منها ، ما أخرجه الحاكم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : «الرِّبَا ثَلاثَةٌ وَسَبعُونَ بَاباً ، أيسَرُهَا مِثلُ

---

(١) صحيح البخاري ، فتح الباري ، حديث رقم "١٠٤" ، ٣٧ - باب "ليبلغ العلم الشاهد الغائب" .
(٢) صحيح البخاري ، فتح الباري ، حديث رقم "٩٨" ، ٣٢ - باب "عظة الإمام النساء وتعليمهن ، كتاب العلم" .
(٣) الحجر / ٩ .

أن ينكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ ، وَإِنَّ أربَى الربَا عِرضُ الرَّجُلِ المُسلِم[1] .

وفي حديث آخر عند الطبراني في (الأوسط) عن البراء : « .... ، **وَإِنَّ أربَى الربَا إستِطَالَةُ الرَّجُلِ في عِرضِ أخيه**»[2] .

أي استحقاره ، والترفع عليه ، والوقيعة فيه[3] .

وأورد الحافظ المنذري في كتابه (الترغيب والترهيب) حديثا عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : «**تدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم**» ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ بِغَيرِ ما اكتَسَبُوا فَقَدِ احتَمَلُوا بُهتَانَاً وَإِثمَاً مُبِيناً**﴾[4] .

وخرجه الهيثمي أيضا في (مجمع الزوائد) عن عائشة رضي الله تعالى عنها باختلاف بسيط في اللفظ ، فعنده : « ..... **تدرون أزنى الزنا** ......» ...... قال : **فإن أزنى الزنا** .....وباقي لفظ الحديث كما ذكره المنذري[5] .

فهذه الأحاديث الشريفة كما ترى – وغيرها من الآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ومعلومة – قد بالغت مبالغة أكيدة في التحذير والتنفير عن ثلاثة من أقبح وأشنع وأخبث

---

(١) أورده السيوطي في (الجامع الصغير) فيض القدير ، حديث رقم "٤٥٠٤" ، قال المناوي : "قال الحافظ العراقي إسناده صحيح" ، وخرجه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) ، حديث رقم "٣٥٣٩" ، وقال : صحيح .

(٢) أورده السيوطي في (الجامع الصغير) ، وخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم "٣٥٣٧" ، وأفاد أنه خرجه في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) أيضا تحت رقم "١٨٧١" ، وأورد نحوه المنذري في (الترغيب والترهيب) "٣ / ٤ – ٥" عن أبي هريرة ، وقال : "رواه البزار بإسنادين ، أحدهما قوي" ، وخرجه الهيثمي أيضا في (مجمع الزوائد) ولكن بلفظ «إن من أزنى الزنى ...» الحديث ، وقال : رواه البزار بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح ، غير محمد بن أبي نعيم ، وهو ثقة ، وفيه ضعف .

(٣) فيض القدير ، حديث رقم "٤٥٠٦" .

(٤) ٣ / ٥٠٤ – ٥٠٥ ، قال المنذري : رواه أبو يعلى ، ورواته رواة الصحيح .

(٥) ١٠ / ٩٥ "باب ماجاء في الغيبة والنميمة" ، وقال : رواه ابو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح . والآية رقمها "٥٨" من سورة الأحزاب ، وانظرها في مقدمة هذا الباب وفي الترغيب والترهيب ومجمع الزوائد أحاديث أخرى أيضا في هذا المعنى .

الأمراض الاجتماعية ، التي إذا شاعت في مجتمع ، انتشرت فيه أخطر وأفتك الأمراض والأوبئة ، والفقر والفاقة ، والتمزق والشتات .

فالزنا : فعلة قبيحة متناهية في القبح ، وقد سماه الله تعالى ورسوله ﷺ الفاحشة .

قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[1] .

وأخرج ابن ماجة في سننه ، عن عبدالله بن عمر ؛ قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ . فقال : «يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ ! خَمسٌ إذا ابتُلِيتُم بِهِنَ ، وأَعُوذُ باللهِ أن تُدرِكُوهُنَّ ، لم تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ في قَومٍ قَط ، حتى يُعلِنُوا بِهَا ، إلا فَشَا فِيهِم الطَّاعُونُ والأوجَاعُ الَّتي لم تَكُن مَضَت في أسلافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوا» الحديث[2] .

والربا : أخبث من الزنا إذ أهون أبوابه مثل من أتى أمه في الإسلام .

فالأحاديث المتقدمة - وغيرها من الآيات والأحاديث في هذا المعنى - تبين لنا عما في عملية الربا من قبح وشناعة ، ومن ذهاب للأخلاق والمثل ، ومن قسوة في القلب ، وشر في المجتمع ، وفساد في الأرض .

ومن ثم فقد استحق الزناة والمرابون عقاب الله وسخطه ، جلا وعلا .

فقد أورد الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب) حديثا عن ابن عباس رضي الله تعالى

---

(١) ٣٢ / الإسراء .

(٢) حديث رقم "٤٠١٩" ، ٢٢ - باب العقوبات ، ٣٦ - كتاب الفتن . واورده المنذري في الترغيب والترهيب "٣ / ٢٨٦" ، وعزاه لابن ماجة ، والبزار ، والبيهقي . وخرجه الالباني في صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم "٧٩٧٨ - ٣٠٧٢" ، وعزاه لابن ماجة والحاكم ، وقال : صحيح ، كما خرجه في سلسلة الاحاديث الصحيحة ، تحت رقم "١٠٦" . وحديث آخر في هذا المعنى ، أورده المنذري في الترغيب والترهيب ، "٣ / ٢٨٥" ، عن بريدة رضي الله تعالى عنه ، أوله «مانقض قوم العهد ...» الحديث ، وقال رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم . كما خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد "٧ / ٢٧١ - ٢٧٢" ، باب في ظهور المعاصي ، عن بريدة ، وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح ، غير رجاء بن محمد ، وهو ثقة .

عنهما ، عن رسول الله ﷺ قال : «إذا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا في قَرْيَةٍ فَقَد أحَلُّوا بِأنفُسِهِم عَذَابَ اللهِ»[1] .

هذه هي عاقبة من بارز الله تعالى بالمعاصي ، الخسران المبين والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة .

نسأل الله الحليم الكريم العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، آمين .

هذا ، وقد تقدم أن الربا أشد خبثا من الزنا ، وأن أشد الربا ، وأربى الربا ، وأخبث الربا إنتهاك عرض المسلم وانتهاك حرمته[2] .

أما الصحابي رضي الله تعالى عنه ، فحرمة الخوض في عرضه أشد ، وإثمه أعظم ، وعاقبته أوخم .

ومن ثم نختم هذا الباب ، بهذا الحديث الرهيب الرعيب : فقد روى الطبراني في (معجمه) عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : «لعن الله من سب أصحابي»[3] . كما أخرج عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) "٣ / ٢٧٨" ، وقال : رواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد . كما أورده السيوطي في الجامع الصغير ، فيض القدير ، حديث رقم "٧٤٨" ، وعزاه للحاكم ، والطبراني ، قال المناوي : قال الحاكم صحيح ، وأقره الذهبي ، وقال الهيثمي بعد عزوه للطبراني : فيه هاشم ابن مرزوق ، لم أجد من ترجمه ، وبقية رجاله ثقات . وخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم "٦٧٩" ، وقال : صحيح . وحديث آخر بهذا المعنى ، أورده المنذري في الترغيب والترهيب "٣ / ٢٧٨" عن ابن مسعود ، أوله «ماظهر في قوم الزنا» الحديث ، وقال : رواه أبو يعلى بإسناد جيد . وخرجه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم "٥٦٣٤" ، وقال : حسن .

(٢) هذا جزء من حديث أورده المنذري في (الترغيب والترهيب) "٣ / ٥٠٤" ، قال : وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «إن الربا نيف وسبعون بابا ...» الحديث . قال : "رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي" .

(٣) خرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد) "١٠ / ٢٤" ، كتاب المناقب ، باب سب الصحابة ، باللفظ المذكور آنفا ، وبلفظ : من سب أصحابي فعليه لعنة الله ، عن ابن عمر ، قال : رواه البزار ، والطبراني في الكبير والأوسط ، وقال : وفي إسناد البزار سيف بن عمر ، وهو متروك ، وفي إسنادي الطبراني عبدالله بن سيف الجوارزي وهو ضعيف ، وخرجه كذلك بلفظ : من سب أصحابي لعنه الله والملائكة والناس أجمعين ، عن ابن عباس ، قال : رواه الطبراني وفيه عبدالله بن خراش ، وهو ضعيف . قلت : وروايتا عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس ، عند الطبراني قد أوردهما الإمام السيوطي في (الجامع الصغير) ، وخرجهما الألباني في صحيح الجامع الصغير ، =

«لاتسبوا أصحابي لعن الله من سب أصحابي»(١) .

وكفى بهذا الحديث زاجر ورادعا عن إيذاء الله تعالى ورسوله ﷺ ، ببغض أحباب الله تعالى ، وسب أصحاب رسول الله ﷺ .

ولا أشد ، ولا أغلظ من هذا التحذير ، ومن هذا النهي ، حيث أن المبعوث رحمة للعالمين ، يلعن بلسانه الطاهر من يسب أصحابه رضي الله تعالى عنهم .

وما ذلك إلا للمبالغة الأكيدة في إظهار شرف الصحابة ، وكرامتهم على الله عز وجل ، وأنهم موضع رعايته ، وعنايته ، ونصره . من عاداهم فقد آذنه الله بالحرب ، ومن والاهم أكرمه الله تعالى ، كما تقدم بيانه ، والمرء مع من أحب ، رضي الله تعالى عنهم ، ورضي عنا بحبهم .

أولئك قوم لحقوا بالله ، وعرف كل منهم منزلته عند الله ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(٢) .

والواجب على من بعدهم لهم مايجب على الأولاد لآبائهم من البر والإحسان ، والإستغفار المأمور به بنص القرآن : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾(٣) ، فإنهم آباء أهل

= حديث رقم "٥١١١" و "٦٢٨٥" ، وقال : حسن ، وافاد انه خرجه أيضا في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) تحت رقم "٢٣٤٠" و "٣٣٤٠" ، وعزاه للطبراني بروايتي ابن عمر وابن عباس ، والخطيب عن أنس ، ولأبي نعيم في (الحلية) والبغوي ، عن عطاء مرسلا . قلت : ومرسل عطاء ،المذكور هنا ، قال فيه محققا (كتاب النهي عن سب الأصحاب) "ص٤٤" ، والمرسل رواه ابن أبي عاصم في السنة "١٠٠١" : ٢ / ٤٨٣ ، وعلي بن الجعد في مسنده "٢٠٩٥" : ٢ / ٧٨٥ ، وأبو نعيم في الحلية "٧ / ١٠٣" من طرق عن عطاء مرسلا ، بلفظ «من سب أصحابي فعليه لعنة الله» وسنده جيد .

(١) وخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد) "١٠ / ٢٤" ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن سهل ، وهو ثقة .

(٢) ٥٥ / القمر ، ٤٧ / الحجر .

(٣) الحشر / ١٠ .

الإسلام ، إذ هم الذين آووه ، ونصروه ، ثم مهدوه وقرروه ، ثم أدوه كما سمعوه ، فجزاهم الله عنا أفضل الجزاء[١] .

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[٢] اللهم إنا كما نشهد لك بالوحدانية ، ولنبيك بالتبليغ ، فإنّا نشهد [لأصحابه] بالصدق فيما إلينا عنك أوصلوه ، وعن نبيك نقلوه ، وبأداء الأمانة فيما من أمر دينك تحملوه ، ولا نتخذهم أربابا ، ولا نجعل بعضهم على بعض أحزابا ، بل هم عبيد لك ، مربوبون سامعون ، لك مجيبون ، دعاهم نبيك فتابعوه ، وعلى نصر دينك بايعوه ، فصدقوا كما سميتهم الصادقين ، وما بدلوا تبديلا[٣] .

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد ، سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الهداة المهتدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

---

(٢) آل عمران / ٥٣ ,

(١) ،(٣) انظر الحسام المسلول ، "ص٦١ ، ٦٢" .

الباب الثاني

نقد سند قصة ثعلبة

«رضي الله تعالى عنه»

إن الحديث النبوي الشريف ، هو المصدر الثاني للتشريع في الإسلام ، ومرتبته في الحجية تلي مرتبة القرآن الكريم .

واالحديث هو : ما أضيف إلى النبي ﷺ ، من قول أو فعل ، أو تقرير ، أو وصف خِلْقي أو خُلُقي ، كما هو مبسوط في كتب المصطلح[1] .

والحديث من حيث الحجية ينقسم إلى قسمين ، قال الحافظ العلائي في كتابه (النقد الصحيح) : «إن الحديث المحتج به ينقسم إلى صحيح وحسن ، وذلك بحسب تفاوت رجال إسناده في الحفظ والإتقان ، وأداء ماتحملوه . كما أن الحديث الذي لايحتج به ينقسم إلى ضعيف ، ومنكر ، وموضوع ، بحسب تفاوت رواته في الوهم والغلط والتساهل وتعمد الكذب»[2] .

والحديث الضعيف الذي نحن بصدده الآن ، أيضا ينقسم إلى قسمين . قال الشيخ علوي المالكي في كتابه (المنهل اللطيف) : «اعلم أن الحديث الضعيف قسمان ، قسم ينجبر ضعفه بوروده من طرق أخرى ، كما إذا كان ضعفه لضعف حفظ راويه ، أو لاختلاطه ، أو ستره ، أو كان لإرسال ، أو تدليس ، فيزول ضعفه ، ويكون حينئذ من القسم الحسن لغيره ، فيصير مقبولا معمولا به محتجا به في الأحكام ، وغيرها . وقسم لاينجبر ضعفه وإن كثرت طرقه ، وهو ماكان ضعفه لكون راويه متهما بالكذب ، أو كان فاسقا ، أو نحو ذلك ، فلا يكون حينئذ من الحسن لغيره ، ولو مع كثرة طرقه . وهذا القسم الثاني من الضعيف يحتج به في فضائل الأعمال بشروط ، ولا يحتج به في ثلاثة أمور :

---

(١) وانظر المنهل اللطيف في أحكام الحديث الضعيف (ص٤) ، ومنهج النقد في علوم الحديث ، د . نورالدين عتر ، (ص٢٦) .

(٢) ص٢٦ .

الأول : أنه لا يحتج به في باب العقائد ، مما يجب لله تعالى ومايستحيل وما يجوز ، لأنها من اليقينيات التي تتوقف على قوة الحديث ، دون ضعفه .

الثاني : أنه لايحتج به في باب الأحكام الشرعية ، من تحليل ، أو تحريم ، لأنه لايقدم على ذلك إلا بدليل قوي من حديث صحيح أو حسن .

الثالث : أنه لا يحتج به في تفسير كلام الله تعالى ، لأنه يتوقف على إعتقاد أن الله أراد بهذا اللفظ ، هذا المعنى ، وهذا لابد فيه من حديث قوي دون الضعيف»[1] .

ومن الأحاديث الضعيفة ، شديدة الضعف ، التي لا تصلح للإحتجاج بها ، حديث : «ياويح ثعلبة» ، لوهاء جميع طرقه ، ونكارة متنه ، ومعارضته لصريح الآيات والأحاديث ، وأصول وقواعد الشريعة ، الواردة في موضوع الحديث .

وقد صرح الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) كما تقدم ، أن (حديث ثعلبة) من الأحاديث الضعيفة التي لا يحتج بها[2] .

وغيره من العلماء أيضا أكدوا على ضعف هذا الحديث ، وبطلانه ، سندا ومعنى ، وسيأتي تفصيل ذلك ، إن شاء الله تعالى خلال هذين البابين ، الثاني والثالث .

والحديث يتضمن قصة ثعلبة ، وهي مشهورة ومذكورة في كتب التفسير وغيرها ، وما ورد فيها باختصار ، أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري قال لرسول

---

(١) ص ٥ - ٦ .

(٢) (٣ / ٢٦٦) ، كتاب الزكاة ، آخر الباب الأول .

الله ﷺ : «أدع الله أن يرزقني مالا» ، وقال : «والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه» ، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم ارزق ثعلبة مالا» ، قال فاتخذ غنما ، فنمت كما ينمو الددود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود ، حتى ترك الصلوات كلها ، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار ، وأنزل الله ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً** ﴾ ، ونزلت عليه فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة ، فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ ، فقال : ماهذه إلا جزية ، وما هذه إلا أخت الجزية ، فانطلق ا لرجلان حتى آتيا النبي ﷺ ، فلما رآهما ، قال : «ياويح ثعلبة» ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه : ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين** ﴾ إلى قوله تعالي : ﴿ **وبما كانوا يكذبو** ﴾ . وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال : ويحك ياثعلبة ، قد أنزل الله فيك كذا وكذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ ، فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك ، فجعل يحثي التراب على رأسه ، وهو يبكي ، وقبض رسول الله ﷺ ، ولم يقبل منه شيئا ، ثم أتى أبا بكر حين استخلف فلم يقبلها منه ، ثم أتى عمر بن الخطاب حين استخلف فلم يقبلها منه ، ثم أتى عثمان بن عفان حين استخلف فلم يقبلها منه ، ثم مات ثعلبة في خلافة عثمان[١] .

---

(١) وردت القصة في عدة كتب ، وانظر تفسير ابن كثير(٢ / ٣٧٤) ، في تفسير الآيات (٧٥ – ٧٨) من سورة التوبة ، وانظر أيضا مجمع الزوائد (٧ / ٣٤) ، في التفسير ، باب سورة براءة ، وهي سورة التوبة .

هكذا وردت هذه القصة ضمن حديث «ياويح ثعلبة» في كتب التفسير وغيرها ، من طريق معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

وهذا الإسناد ضعيف جدا ، مشهور بالضعف ، كما سنوضحه إن شاء الله تعالى .

ومن ثم أبدى غير واحد من المشتغلين بعلم الحديث ، استغرابه من سكوت الحافظ ابن كثير عند إيراده لهذه القصة ، بهذا السند الضعيف ، في تفسيره .

وعلل البعض سكوت الحافظ ابن كثير هنا ، بأنه قد ذكر القصة بسندها الضعيف ، قال الشيخ ناصر الدين الألباني في (سلسة الأحاديث الضعيفة) : «هذا الحديث من الأحاديث التي ساقها ابن كثير في تفسيره ساكتا عليه ، لأنه ذكره بسند معان بن رفاعة ... مشيرا بذلك إلى علته الواضحة لدى أهل العلم بهذا الفن»(١) .

قلت : قد ظهر لي - والله تعالى أعلم - وجه آخر ، لسكوت الحافظ ابن كثير هنا - ولم أر أحدا ذكره غيري - وذلك أن الحافظ ابن كثير قد ضعف هذا الإسناد في موضعين من كتبه : في تفسيره ، وفي كتابه (البداية والنهاية) .

ففي تفسير الآيات رقم (١٦٣ - ١٦٥) من سورة النساء ، قال : « ... فقال ابن أبي حاتم ، حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قلت : يانبي الله

---

(١) الشهاب الثاقب (ص٤٣) .

كم الأنبياء ؟ قال : قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا - الرسل - من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا» ، ثم قال ابن كثير : «معان بن رفاعة السلامي ضعيف ، وعلي بن يزيد ضعيف ، والقاسم أبو عبدالرحمن ضعيف أيضا»[1] .

وفي كتابه (البداية والنهاية) أورد هذا الحديث ، بنفس السند المذكور آنفا ، ثم قال : «وهذا أيضا من هذا الوجه ضعيف ، فيه ثلاثة من الضعفاء ، معان ، وشيخه ، وشيخ شيخه»[2] .

قلت : وهذا حديث طويل ، ذكر ابن كثير الجزء الأخير منه ، وقد أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ، بنفس السند المذكور آنفا[3] ، كما خرجه الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد)[4] .

وبهذا ثبت تضعيف الحافظ ابن كثير أيضا لسند قصة ثعلبة ، وغيره كثير من العلماء ضعفوا هذه القصة سندا ومتنا .

ومنهم الأئمة : أبو عمر يوسف بن عبدالبر ، وعزالدين أبو الحسن بن الأثير ، وأبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، وأبو عبدالله محمد الذهبي .

---

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٥٨٦) .
(٢) ١ / ١٣٩ - ١٤٠ ، كتاب الجامع لأخبار الأنبياء المتقدمين .
(٣) ٥ / ٢٦٥ - ٢٦٦ ، حديث أبي أمامة الباهلي .
(٤) ١ / ١٦٣ - ١٦٤ ، باب السؤال للإنتفاع وإن كثر .

وسنذكر أقوالهم في نكارة متن القصة ، في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

ومنهم ، الإمام أبو محمد علي بن أحمد ، إبن حزم الأندلسي ، قال في كتابه (المحلى بالآثار) ، بعد إيراد الجزء الأخير من القصة : «وفي رواته معان بن رفاعة ، والقاسم بن عبدالرحمن ، وعلي بن يزيد ، وهو أبو عبدالملك الألهاني ، وكلهم ضعفاء»[1] .

والحافظ ابن حجر العسقلاني ، ضعف القصة في مصنفاته وسيأتي في الباب الثالث إن شاء الله تعالى ، وقال في (تخريج أحاديث تفسير الكشاف) : «وهذا إسناد ضعيف جدا»[2] .

والشيخ أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، ضعف القصة بقوله : « ... مع عدم صحتها سندا ، فهي لاتصح معنى ...» ، كما نبه في عدة مواضع في مقدمة كتابه (الصحيح المسند من أسباب النزول) على ضعف القصة[3] .

والشيخ محمد ناصرالدين الألباني ، أيضا ضعف القصة ، ففي كتابه (سلسلة الأحاديث الضعيفة) حديث رقم (٤٠٨١) قال عن إسناد القصة : «ضعيف جدا» وكذلك في (ضعيف الجامع الصغير) ٤ / ٢٥ .

والإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، أيضا ضعف سند القصة ، كما نقله عنه الشيخ المناوي في (فيض القدير)[4] .

---

(١) ١٢ / ١٣٧ ، كتاب الحدود ، مسألة رقم ٢٢٠٣ .
(٢) ٤ / ٧٧ .
(٣) (ص١١ - ١٢ و ١٩) .
(٤) ٤ / ٥٢٧ ، تحت الحديث رقم (٦١٥٣) .

والحافظ زين الدين أبو الفضل عبدالرحيم العراقي ، قال في تخريج أحاديث (إحياء علوم الدين) إسناده ضعيف[1] .

والإمام جلال الدين السيوطي ، قال في كتابه (لباب النقول في أسباب النزول) قوله تعالى :«ومنهم من عاهد الله» . أخرجه الطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل ، بسند ضعيف عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب ..»[2] .

والحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، في (مجمع الزوائد) بعد إيراد القصة ، قال : «رواه الطبراني ، وفيه علي بن يزيد الألهاني ، وهو متروك»[3] .

وللعلماء أيضا أقوال في تضعيف سند قصة ثعلبة ، أو أحد رواتها عموما ، ولو في غير هذه القصة ، كما ذكرنا تضعيف الحافظ ابن كثير لرجال هذا السند في حديث آخر .

ومنهم الحاكم أبو عبدالله النيسابوري ، قال في كتابه : (معرفة علوم الحديث) : «وأوهى أسانيد الشاميين محمد بن قيس المصلوب ، عن عبيدالله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة»[4] .

وأخرج ابن ماجة في (سننه) حديثا ، ورقمه (٢٤٥) ، من طريق معان بن

---

(١) ٣ / ٢٧٢ ، بيان ذم الغنى ومدح الفقر ، قال العراقي : أخرجه الطبراني بسند ضعيف .

(٢) ١ / ١٧٠ ، سورة براءة ، آيات (٧٥ - ٧٨) .

(٣) ٧ / ٣٥ ، تفسير سورة براءة .

(٤) (ص٥٨) ، ذكر النوع الثامن عشر من علوم الحديث .

رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم بن عبدالرحمن ، عن أبي أمامة .

قال الإمام البوصيري في (زوائد ابن ماجة) : «إسناده ضعيف ، لضعف رواته» وغير هذا الحديث أيضا عند ابن ماجة بهذا السند ، ضعفه في (زوائد ابن ماجة) .

كما أخرج الترمذي في (سننه) عدة أحاديث بهذا السند ، وضعفه .

ومنها حديث رقم (١٣٠٠) ، ساقه من طريق عبيدالله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، وحديث آخر رقم (٢٨٧٤) بنفس هذا الإسناد ، وفي الحديثين ضعف علي بن يزيد .

وقد ذكر الحافظ ، أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي المالكي ، الثلاثة معان بن رفاعة ، وعلي بن يزيد ، والقاسم بن عبدالرحمن ، في كتابه (الضعفاء الكبير)[١] .

وأتهم البعض علي بن يزيد فقط ، حيث اختلف العلماء في معان والقاسم .

وعلي بن يزيد ، ذكره الإمام البخاري في كتابه (الضعفاء الصغير)[٢] .

والإمام النسائي في كتابه (الضعفاء والمتروكين)[٣] .

والإمام الدار قطني في كتابه (الضعفاء والمتروكين)[٤] .

---

(١) علي بن يزيد الالهاني (٣ / ٢٥٤) ، ترجمة رقم (١٢٥٩) ، القاسم ابو عبدالرحمن ، (٣ / ٤٧٦) ، ترجمة رقم (١٥٣٣) ، معان بن رفاعة السلامي (٤ / ٢٥٦) ، ترجمة رقم (١٨٥٤) .

(٢) (ص٨٢) ، ترجمة رقم (٢٥٥) .

(٣) (ص٧٨) ، ترجمة رقم (٤٣٢) .

(٤) (ص١٣٤) ، ترجمة رقم (٤٠٧) .

وانظر تراجم الثلاثة في الكتب :

ميزان الإعتدال ، للذهبي :٣ / ١٦١ ، ترجمة رقم (٥٩٦٦) ، ٣ / ٣٧٣ (٦٨١٧) ، ٤ / ١٣٤ (٨٦١٩) .

تهذيب التهذيب ، لإبن حجر : ٧ / ٣٩٦ (٦٤١) ، ٨ / ٣٢٢ (٥٨١) ، ١٠ / ٢٠١ (٣٧٤) .

تهذيب الكمال ، للمزي : ٢١ / ١٧٨ (٤١٥٤) ، ٢٣ / ٣٨٣ - ٣٩١ (٤٨٠٠) ، ٢٨ / ١٥٧ - ١٥٩ (٦٠٤٣) .

هذا وللقصة روايات أخرى أيضا ، ولكن كلها معلولة .

منها مايروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، وهي من طريق محمد بن سعد قال حدثني أبي قال ، حدثني عمي ، قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ، قوله : «ومنهم من عاهد الله لئن آتانا الله من فضله» ، الآية .

وهذا إسناد ضعيف جدا ، قال في (الشهاب الثاقب) : «قلت : وهذا إسناد ساقط بمرة لايسوى عند أهل الحديث بعرة ، لأنه مسلسل بالعوفيين وهم ضعفاء»[1] .

وقال في كتاب (... الصحابي المفترى عليه) : «فإسناد هذا الحديث كما ترى لايقوم به حجة . وإذا قيل عن رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر بأنها سلسلة الذهب ، فهذه سلسلة العوفيين سلسلة العجب ! كلهم ضعفاء ، وبعضهم أشد ضعفا من بعض ، ولايثبت بمثل هذا الإسناد ثمن باقة بقل»[2] .

(١) (ص١٣) .
(٢) (ص٦٦ و ٦٧) .

ورواية أخرى للقصة ، من طريق ابن حميد قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن .

وهذا الإسناد أيضا ضعيف جدا ، ويستفاد من أقوال العلماء أن آفته عمرو بن عبيد ، وهو عمرو بن عبيد بن باب ، أبو عثمان البصري ، وقد ترجم له الذهبي ، في ميزان الإعتدال ، وأطال الكلام فيه(١) ، كما ترجم له ابن حجر في (تهذيب التهذيب)(٢) ، وذكره البخاري في كتابه (الضعفاء الصغير)(٣) والنسائي في كتابه (الضعفاء والمتروكين)(٤) والدار قطني في كتابه (الضعفاء والمتروكين)(٥) .

ومبلغ القول في أسانيد روايات هذه القصة أنها كلها ضعيفة جدا ، وبعضها أشتد ضعفها ، وقد بين كل ذلك أتم بيان أصحاب البحوث الثلاثة وبينوا أحوال رجالها فردا فردا ، فجزاهم الله خيرا .

وهذا آخر الباب الثاني ، والحمدلله أولا وآخرا ، نستغفره ونتوب إليه ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجميعن .

---

(١) ٣ / ٢٧٣ (٦٤٠٤) .
(٢) ٨ / ٧٠ (١٠٨) .
(٣) (ص٨٥) .
(٤) (ص٨٠) .
(٥) (ص١٣٢) .

الباب الثالث

نقد متن قصة ثعلبة بن حاطب

«رضي الله تعالى عنه»

إن القصص في كل لغة ، لون من ألوان الأدب الفني الرائع ، لما له من الأثر النفسي في قلوب سامعيه ، وقارئيه .

وقد عني القرآن الكريم بالقصص ؛ فذكر كثيرا من وقائع الأمم الغابرة ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ليبين مواضع العبرة والعظة فيها .

كما ورد في السنة الصحيحة الشيء الكثير من القصص في مواضيع شتى.

ومن ثم اهتم المسلمون من بعد بتفسير قصص القرآن الكريم ؛ وأخذوا عمن أسلم من أهل الكتاب كثيرا مما يتصل بها ؛ فنشأ القصص الديني .

ولكن أدخلت في القصص الديني ، قصص كثيرة باطلة ، سندا ومعنى .

فظهرت في بعض كتب الحديث ، والتاريخ ، والتفسير ، والعقائد ، والرقائق ، وغيرها ، قصص كثيرة بأسانيد ضعيفة ، أو موضوعة ، ومتون منكرة معارضة لكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ .

وبما أن السنة المطهرة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، فقد اهتم بها العلماء ، ووضعوا شروطا لقبول الحديث أو رده ، وأخضعوا لهذه الشروط ، سند الحديث ، ومتنه .

والتاريخ كذلك يخضع لهذه الشروط من حيث القبول أو الرد .

قال في (إتحاف ذوي النجابة) : «والتاريخ نقل محض وخبر ، يشترط فيه مايشترط في الخبر ، من عدالة الرواة الناقلين لأي حادثة من حوادثه تتعلق بأي شخص كان من الناس ، وضبطهم ، وغير ذلك من شروط الخبر المعتبرة في

الرجال فردا فردا»[1] .

ومن القصص الواهية المشار إليها آنفا ، قصة ثعلبة بن حاطب ، فهي مع وهاء سندها ، كذلك منكرة المتن ، مخالفة لأبسط قواعد الشرع .

ومما زاد الناس ولوعا وتمسكا بهذه القصة الواهية ونحوها ، ورودها في كتب التفسير ، ومعلوم أن لكتب التفسير مكانة عظيمة في قلوب المسلمين .

ومن العوامل التي زادتها ذيوعا وانتشارا ، إستحسان الخطباء والكتاب لها ، وتكرارها في خطبهم ومؤلفاتهم ، موهمين العامة أن القصة صحيحة .

كل هذه العوامل جعلت البعض مصرا على التمسك بهذه القصة ، مؤولا لأحداثها المخالفة للشرع بالخصوصية ، أي أنها حالة خاصة بثعلبة بن حاطب ، حدثت في ظروف خاصة ، فلا يقاس عليها غيرها .

والجواب على ذلك من وجهين :

أولا : من حيث السند ، فقد أثبتنا في الباب الثاني بعون الله تعالى وتوفيقه ، أن القصة تالفة ، وجميع طرقها معلولة ، لايصح منها شيء ، وبعضها أشد ضعفا من بعض ، فهي من الأحاديث التي لايحل الإحتجاج بها ، كما بيناه في مقدمة الباب الثاني .

ونحبذ أن نذكر هنا أقوال الأساتذة أصحاب البحوث الثلاثة ، وغيرهم ، التي وصلوا إليها بعد الدراسة والتمحيص لأسانيد روايات هذه القصة .

١ - (ثعلبة بن حاطب - الصحابي المفترى عليه) : إلى جانب الروايات

---

(١) (ص٦٩) ، وفيه بحث مفيد .

الثلاث التي ذكرناها في الباب الثاني ، وهي قد صرحت أن الآية نزلت في ثعلبة ، أورد المؤلف روايتين لم تذكرا ثعلبة ولاغيره ، ثم قال : «وإن مما يجب التفطن إليه ، والتذكير به ، أن هذه الروايات الخمس التي أوردها الطبري في سبب نزول هذه الآية تنقسم إلى مجموعتين :

(١) *المجموعة الأولى :* التي صرحت باسم ثعلبة وشملت رواية ابن عباس وأبي أمامة والحسن وهذه الروايات الثلاث ضعيفة جدا ، أو موضوعة لايصح شيء منها عن واحد من هؤلاء الثلاثة .

(٢) *المجموعة الثانية :* التي لم تذكر ثعلبة شملت رواية مجاهد ، وهي صحيحة النسبة إليه . ورواية قتادة ، وهي حسنة الإسناد ، ...»[١] .

٢ ـ (الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه) : قال مؤلفه : «قد ظهر لذي عينين أن روايات القصة كلها معلة فهي مابين متروك وضعيف جدا ، أو متهم بالكذب ، وهي روايات لاتزيد القصة إلا وهنا على وهن»[٢] .

قلت : يقصد الروايات الثلاث : عن ابن عباس ، وأبي أمامة ، والحسن .

٣ ـ (حديث ياويح ثعلبة دراسة نقدية) : قال مؤلفه بعذ ذكر رواية أبي أمامة : «الحكم على هذا السند : هذا الحديث بهذا السند حديث متصل موصول بالضعفاء والمتروكين ، وعليه فهو حديث ضعيف»[٣] .

---

(١) (ص٧٩ ، ٨٠) .
(٢) (ص١٤) .
(٣) (ص٢٨) .

٤ - (تخريج أحاديث تفسير الطبري ، للشيخ محمود محمد شاكر) ، قال الشيخ : «وهو ضعيف كل الضعف ، ليس له شاهد من غيره ، وفي بعض رواته ضعف شديد»[١] .

٥ - (فتح الباري) إمتنع الحافظ ابن حجر عن الإستدلال في ثبوت أول وقت فرض الزكاة بحديث ثعلبة ، وقال : «لكنه حديث ضعيف لايحتج به»[٢]

ثانيا : من حيث المتن ، فالمتن أيضا منكر ، مخالف لأبسط قواعد الشرع.

قال الشيخ الوادعي في كتابه «الصحيح المسند في أسباب النزول» ، «...مع عدم صحتها سندا ، فهي لاتصح معنى ، إذ فيها مخالفة لأصل من أصول الشريعة ، وهو أن التائب لو بلغت ذنوبه عنان السماء ثم تاب ، تاب الله عليه»[٣] .

وقال السيد محمد رشيد رضا في (تفسير المنار) ، «وفي الحديث إشكالات» قال : «.. ، وبعدم قبول توبة ثعلبة ، وظاهر الحديث ولاسيما بكاؤه أنها توبة صادقة ، وكان العمل جاريا على معاملة المنافقين بظواهرهم ، وظاهر الآيات أنه يموت على نفاقه ، ولايتوب عن بخله وإعراضه ، وأن النبي ﷺ ، وخليفتيه عاملوه بذلك ، لابظاهر الشريعة ، وهذا لانظير له في الإسلام»[٤] .

---

(١) ١٤ / ٣٧٠ ، حديث رقم (١٦٩٨٧) .
(٢) ٣ / ٢٦٦ ، شرح حديث رقم (١٤٠٠) .
(٣) (ص١٢) ، المقدمة .
(٤) ١٠ / ٦٥٠ ، تفسير الآية رقم ٧٥ / التوبة .

هذا ، وللإمام ابن حزم كلام نفيس في نقد هذه القصة سندا ومتنا ، سنذكره إن شاء الله تعالى في موضعه .

ومبلغ القول في هذه القصة أنها باطلة جملة وتفصيلا ، والمخالفات والتناقضات التي اشتملت عليها هذه القصة يمكن تلخيصها في نقاط أربع .

ونحبذ أن نقسم هذه النقاط إلى قسمين :

القسم الأول :

يشتمل على نقطتين :

١ ـ مصادمة القصة لما تواتر من فضائل أهل بدر الكرام في الكتاب والسنة رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بحبهم وحشرنا في زمرتهم ، آمين .

واتهامها لصحابي بدري جليل بالنفاق والموت عليه ، عياذا بالله .

٢ ـ تعرض القصة لبعض صفات الله تعالى ، وأسماءه الحسنى .

وهذا كما تزعم القصة أن الآيات نزلت في ثعلبة بن حاطب رضي الله تعالى عنه .

ولكن لو فرضنا أن الشخص الذي نزلت فيه الآيات ليس ثعلبة بن حاطب ، ولكنه شخص آخر ، ففي هذه الحالة أيضا القصة تتعارض مع أصلين عظيمين من أصول الشريعة المحمدية ، ثابتين بالكتاب والسنة ، وعمل المسلمين عليهما منذ عصر النبوة على صاحبه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه أجميعن ، ويأتيان في القسم الثاني .

القسم الثاني :

١ ـ التوبة .

٢ ـ معاملة الناس جميعا بظواهرهم ، وتفويض سرائرهم إلى الله تعالى

ونشرع الآن بعون الله تعالى وتوفيقه في تفصيل ماأجملناه في هذه النقاط الأربع .

نبدأ أولا ببيان فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم .

إن غزوة بدر الكبرى لهي من أعظم الغزوات ، وأجل المشاهد في الإسلام ، التي وقف يومها النبي ﷺ ، يهتف بربه «**اللَّهُمَّ إِنْ تَهلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ مِن أَهلِ الإِسلامِ لا تُعبَدْ فِي الأَرضِ**»[١] .

وأهل بدر الكبرى رضي الله تعالى عنهم ، هم المسلمون الأوائل الذين نصروا دين الله تعالى ، فأخلد الله تعالى ذكرهم في كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ .

وأهل بدر الكرام رضي الله تعالى عنهم ، هم أفضل المجاهدين ، وقد غفر الله لهم ، ووعدهم بالجنة .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، حديث رقم (١٧٦٣) ، كتاب الجهاد ، (١٨) باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، كما أخرجه البخاري في صحيحه ، بلفظ : اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا ، حديث رقم (٤٨٧٧) (فتح الباري) ، كتاب التفسير ، (٦) باب قوله : بل الساعة موعدهم ...

ومن الآيات والأحاديث الواردة في فضائلهم .

قوله تعالى : ﴿ **لايَستَوي القَاعِدُونَ مِن المؤمِنِين غَيرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأموَالِهِم وَأنفُسِهِم فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأموَالِهِم وَأنفُسِهِم عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسنَى وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أجراً عَظِيمَا . دَرَجَاتٍ مِنهُ وَمَغفِرَةً وَرَحمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾[1] .

ذكر الإمام البخاري في صحيحه تفسير ابن عباس لهذه الآية الكريمة ، بقوله : ﴿ **لايستوي القاعدون من المؤمنين** ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر[2] .

وأخرج الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن علي رضي الله تعالى عنه ، قصة الصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه ، وهي مشهورة ، مما أخرجه البخاري في صحيحه عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه ، قال : بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير ـ وكلنا فارس ـ قال : «**انطَلِقُوا حَتَّى تَأتُوا رَوضَةَ خَاخٍ فَإنَّ بِهَا إمرَأةً مِن المُشرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِن حَاطِبِ بنِ أبِي بَلتَعَةَ إلى المُشرِكِينَ**» ، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ ، فقلنا : الكتاب ، فقالت : مامعنا كتاب ، فأنخناها ، فالتمسنا فلم نر كتابا ، فقلنا : ماكذب رسول الله ﷺ ، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك . فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها ـ وهي محتجزة بكساء ـ فأخرجته . فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ ، فقال عمر : يارسول الله ، قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه ، فقال النبي ﷺ : «**مَاحَمَلَكَ عَلَى مَاصَنَعتَ**» ؟ قال حاطب

---

(١) ٩٥ - ٩٦ / النساء .

(٢) حديث رقم (٣٩٥٤ و ٤٥٩٥) (فتح الباري) .

:والله مابي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ﷺ ، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بهـا عن أهلي ومـالي ، وليس أحـد من أصـحـابك إلا له هنـاك من عـشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله ، فقال النبي ﷺ : «**صَدَقَ ، وَلاتَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيراً**» ، فقال عمر : إنه قد خان الله والمؤمنين ، فدعني فلأضرب عنقه ، فقال : «**أَلَيسَ من أهلِ بَدرٍ ؟ فقال : لَعَلَّ اللّهَ اطَّلَعَ عَلَى أهلِ بَدرٍ فقال : اعمَلُوا مَاشِئتُم فَقَد وَجَبَت لَكُم الجَنَّة ـ أو فَقَد غفَرتُ لَكُم ـ** » . فدمعت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم[1] .

هذا الحديث أخرجه البخاري في سبعة مواضع في صحيحه ، وقع هنا شك من الراوي في آخـره ، ولكنه وقع في غـيـر هذا الموضع بـالجـزم ، في مـوضـعين بلفظ : «فقد وجبت لكم الجنة»[2] ، و«فقد أوجبت لكم الجنة»[3] ، وفي ثلاثة مواضع بلفظ «فقد غفرت لكم»[4] .

وقوله ﷺ : «لعل الله اطلع على أهل بدر» قال الحافظ في (فتح البـاري) : «هكذا في أكثر الروايات بصيغة الترجي»[5] ، وقال : «لكن قال العلماء ، إن التـرجي في كلام الله وكلام رسوله للوقوع» ، قـال : «وعند أحـمـد وأبي داود وابن أبي شيـبـة من حـديث أبي هريرة بـالجـزم ، ولفظه : «**إن اللّهَ اطَّلَعَ عَلَى أهلِ بَدرٍ فقال : اعمَلُوا مَاشِئتُم فَقَد غفَرتُ لَكُم**»[6] .

---

(١) حديث رقم (٣٩٨٣) (فتح الباري) .

(٢) حديث رقم (٦٢٥٩) (فتح الباري) .

(٣) حديث رقم (٦٩٣٩) (فتح الباري) .

(٤) حديث رقم (٣٠٠٧ و ٤٢٧٤ و ٤٨٩٠) (فتح الباري) وكذلك (صحيح مسلم) ، حديث رقم (٢٤٩٤) .

(٥) انظر : شرح حديث رقم (٤٨٩٠) .

(٦) انظر شرح حديث رقم (٣٩٨٣) .

قلت : وبهذا اللفظ أورده الإمام جلال الدين السيوطي ، عن أبي هريرة في (الجامع الصغير) ، وعزاه للحاكم في (المستدرك)[1] وخرجه الألباني في (صحيح الجامع الصغير)[2] .

وقال الحافظ في (فتح الباري) : «وعند أحمد بإسناد على شرط مسلم من حديث جابر ، مرفوعا لن يدخل النار أحد شهدا بدرا»[3] .

قلت : وأورد السيوطي نحوه في (الجامع الصغير) عن جابر ، وعزاه للإمام أحمد ، وخرجه الألباني في (صحيح الجامع الصغير)[4] ، وكذلك الشيخ يوسف النبهاني في (الفتح الكبير) أورد نحوه عن سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة ، وعزاه للبغوي وابن قانع . وخرجه الألباني في (صحيح الجامع الصغير)[5] ، و (سلسلة الأحاديث الصحيحة)[6] .

وحديث مولى حاطب هذا ، قد تقدم بمعناه في الباب الأول ، من حديث جابر مرفوعا ، أخرجه مسلم في (صحيحه)[7] .

وأخرج البخاري في (صحيحه) ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه ـ وكان أبوه من أهل بدر ـ قال : «جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ماتعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ـ أو كلمة نحوها ـ قال : «وكذلك

---

(١) حديث رقم (١٦٨٦) (فيض القدير) [illegible]

(٢) حديث رقم (١٧١٩) ، وقال : صحيح .

(٣) انظر شرح حديث رقم (٣٩٨٣)

(٤) حديث رقم (٥٢٢٣) ، وقال : صحيح .

(٥) حديث رقم (٥٢٢٧ ــ ١٦٩٠) .

(٦) حديث رقم (٢١٦٠) وقال : صحيح

(٧) حديث رقم (٢٤٩٥) .

لمن شهد بدرا من الملائكة»[1] .

فهذا بعض ماورد في الكتاب والسنة من فضائل أهل بدر الكرام رضي الله تعالى عنهم . وهم أفضل المجاهدين ، قد غفر الله تعالى لهم ، ووعدهم بالجنة ، كما تقدم ، ووعد الله تعالى حق ، لايخلف ولايبدل .

قال الحافظ في (فتح الباري) : «وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم»[2].

وبما تقدم ثبت بطلان قصة ثعلبة ، لمصادمتها لما تواتر من فضائل أهل بدر رضي الله تعالى عنهم ، حيث أنها تتهم الصحابي البدري ثعلبة بن حاطب بالنفاق والموت عليه .

وثعلبة بن حاطب رضي الله تعالى عنه ، صحابي مشهور ، قد ترجم له كثير من العلماء المتخصصين في طبقات الصحابة ، ودافعوا عنه ، وأثبتوا أنه صحابي مسلم بدري ، ونفوا عنه تهمة النفاق ، ومن ثم حكموا على قصته بالبطلان .

وقبل أن نسرد أقوال العلماء في هذا الموضوع ، نحبذ أن نورد ترجمة مختصرة له :

فهو رضي الله تعالى عنه : ثعلبة بن خاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري[3] . وأمه أمامة بنت الصامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن

---

(١) حديث رقم (٣٩٩٢) (فتح الباري) .
(٢) انظر شرح حديث رقم (٣٩٨٣) .
(٣) الإصابة (١ / ١٩٩ - ٢٠٠) ، ترجمة رقم (٩٢٧) .

عوف ، وكان لثعلبة من الولد عبيدالله وعبدالله وعمير وأمهم من بني واقف . ورفاعة وعبدالرحمن وعياض وعميرة ، وأمهم لبابة بنت عقبة بن بشير من غطفان . ولثعلبة بن حاطب اليوم عقب في المدينة وبغداد . وآخى رسول الله ﷺ بين ثعلبة بن حاطب ومعتب بن الحمراء من خزاعة حليف بني مخزوم . وشهد ثعلبة بن حاطب بدرا وأحدا[١] .

أما أقوال العلماء فيه وفي قصته ، فكما يلي :

١ ـ أبو محمد عبدالملك بن هشام الحميري : (السيرة النبوية) قال : «وثعلبة والحارث أبناء حاطب ، وهم من بني أمية بن زيد ، من أهل بدر» . وقال : «وقد نسب ابن اسحاق ، ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بدر» . وتحت ترجمة «من حضر بدرا من المسلمين» ، قال : «ومن بني أمية ثعلبة بن حاطب»[٢] .

٢ ـ محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري : (الطبقات الكبرى) قال : «وشهد ثعلبة بن حاطب بدرا وأحدا»[٣] .

٣ ـ عبدالباقي بن قانع بن مرزوق الأموي : (معجم الصحابة)[٤] ترجم لثعلبة.

٤ ـ أبو القاسم عبدالله البغوي (معجم الصحابة)[٥] ترجم لثعلبة .

٥ ـ محمد بن حبان التميمي البستي (كتاب الثقات من المحدثين) قال

---

(١) الطبقات الكبرى (٣ / ٤٦٠) ، تحت ترجمة طبقات البدريين من الأنصار .
(٢) (١ / ٥١٩ و ٥٢٢ و ١ / ٦٨٨) .
(٣) الطبقات الكبرى (٣ / ٤٦٠) ، تحت ترجمة طبقات البدريين من الأنصار .
(٤)(٥) ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه ، (ص٤٢ - ٤٣) .

:«بدري مات في خلافة عثمان»[1] .

٦ ـ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (المحلى بالآثار) قال : «على أنه قد روينا أثرا لايصح ، وفيه أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب ، وهذا باطل ، لأن ثعلبة بدري معروف»[2] .

٧ ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (المعجم الكبير) قال : (ثعلبة بن حاطب الأنصاري بدري)[3] .

٨ ـ أبو عمر يوسف بن عبدالبر (الإستيعاب في معرفة الأصحاب) قال : «ثعلبة بن حاطب شهد بدرا وأحدا توفي في خلافة عمر ، وقيل في خلافة عثمان»[4] .

وفي (الدرر في اختصار المغازي والسير) قال : «ولعل قول من قال في ثعلبة أنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية ، غير صحيح ، والله أعلم»[5] .

٩ ـ عزالدين أبو الحسن بن الأثير (أسد الغابة في معرفة الصحابة) قال : «ثعلبة بن حاطب شهد بدرا» . ثم ذكر القصة من طريق معان ، ثم قال : (أخرجه الثلاثة وكلهم قالوا : إنه شهد بدرا ، وقال ابن الكلبي ثعلبة بن حاطب شهد بدرا ، وقتل يوم أحد» . ثم قال في آخر الترجمة «فإن كان هذا الذي في هذه الترجمة ، فإما أن يكون ابن الكلبي قد وهم في قتله ، أو تكون

---

(١)(٣) ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه ، (ص٤٢ – ٤٣) .
(٢) (١٢ / ١٣٧) ، كتاب الحدود ، مسألة رقم (٢٢٠٣) ، تحت ترجمة القول في المنافقين والمرتدين .
(٤) (١ / ٢٠٣ – ٢٠٤) ، باب ثعلبة .
(٥) ذكره القرطبي في تفسيره (٨ / ٢١٠) ، وكذلك ورد في كتاب ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه ، (ص٤٣) .

القصة غير صحيحة ، أو يكون غيره ، وهو هو لاشك فيه» .

قلت : وقوله أخرجه الثلاثة يعني ابن عبدالبر ، وابن منده ، وأبا نعيم ،وقد رمز لهم في بداية الترجمة بالحروف (ب د ع)[1] .

١٠ ـ أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : (تفسير الجامع لأحكام القرآن) ذكر قصة ثعلبة ، ثم قال : «قلت : وثعلبة بدري أنصاري ، وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان .... فما روي عنه غير صحيح ، ثم قال : «وقيل : (إلى يوم يلقونه) أي يلقون الله . وفي هذا دليل على أنه مات منافقا . وهو يبعد أن يكون المنزل فيه ثعلبة أو حاطب ، لأن النبي ﷺ قال لعمر : «ومايدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : (اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم) ، وثعلبة وحاطب ممن حضر بدرا وشهدها[2] .

١١ ـ أبو عبدالله محمد الذهبي (تجريد أسماء الصحابة) . قال : «ثعلبة بن حاطب بدري ، قال يارسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالا فذكروا حديثا طويلا منكرا بمرة . وقيل قتل يوم أحد»[3] .

١٢ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (البداية والنهاية) قال : «وهذه تسمية من شهد بدرا من المسلمين ... ثعلبة بن حاطب» . وقال : أنه نقل أسماء أهل بدر من كتاب (الأحكام الكبير) للحافظ ضياء الدين المقدسي[4] . وذكره أيضا الحافظ في فتح الباري ، قال : «واستوعبهم الحافظ ضياء الدين

(١) (١ / ٢٨٣ - ٢٨٥) ، ترجمة رقم (٥٩٠) .
(٢) (٨ / ٢٠٩ - ٢١٢) ، تفسير الآيات (٧٥ - ٧٧) التوبة .
(٣) الصحابي المفترى عليه (ص٤٧) .
(٤) (٣ / ٣١٥ - ٣١٧) .

المقدسي في كتاب الأحكام ، وبين اختلاف أهل السير في بعضهم ، وهو اختلاف غير فاحش»[1] .

١٣ ـ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) قال : «قد حضر بدرا جماعة ، ومن سماهم محمد بن مسلم الزهري ، فيمن شهد بدرا ، ورجاله رجال الصحيح إليه ... ومن الأنصار ، ثم من بني الأوس ، ثم من بني عمرو بن عوف ، ثم من بني أمية بن زيد : ثعلبة بن حاطب»[2] .

١٤ ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (الإصابة في تمييز الصحابة) قال «ثعلبة بن حاطب ذكره موسى بن عقبة ، وابن اسحاق في البدريين ، وكذا ذكره ابن الكلبي ، وزاد أنه قتل بأحد» . ثم ذكر القصة مختصرة ، من طريق معان ، ثم قال : «وفي كون صاحب هذه القصة ، إن صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدري نظر» . ثم قال : «البدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب ، وقد ثبت أنه ﷺ قال : «لايدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر : « اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم . فمن يكون بهذه المثابة ، كيف يعقبه الله نفاقا في قلبه ، وينزل فيه مانزل»[3] .

فهذه أقوال الحفاظ والأئمة والعلماء المتخصصين ، تشهد لثعلبة بن حاطب رضي الله تعالى عنه ، وتؤكد أنه بريىء كل البراءة من النفاق ، وأنه كان مؤمنا صحابيا بدريا ، ومن ثم شملته بشارة الله تعالى ورسوله ﷺ لأهل بدر

---

(١) ٧ / ٣٢٦ ، ١٣ ـ باب تسمية من سمي من أهل بدر .
(٢) (٦ / ٩٦ ـ ٩٧) ، باب في أي شهر كانت وقعة بدر ، وعدة من شهدها .
(٣) (١ / ١٩٩ ـ ٢٠٠) ، ترجمة رقم (٩٢٧) .

بالمغفرةوالجنة ، وكنتيجة حتمية لذلك عاش مسلما مؤمنا ومات على الإسلام .

وهذه نقطة مهمة جدا ، فبثبوت الإسلام لثعلبة بن حاطب رضي الله عنه ، تنتفي صفة النفاق عنه ، وبذلك تثبت بدريته بدون شك .

إذ قد يقال أنه خرج مع المسلمين إلى بدر نفاقا - والعياذ بالله تعالى - كما خرج المنافقون في الغزوات من بعد .

قلت : وأقوال العلماء المذكورة آنفا تنفي وتكذب هذا الإدعاء ، ونرجو أن يعود القارىء الكريم إلى مانقلناه عن الحافظ ابن حجر ، تحت رقم (١٤) والإمام القرطبي ، تحت رقم (١٠) ، ويقرؤها بتمعن . . .

ونعود لنقول : أن ابن حجر والقرطبي وغيرهما من العلماء ، دفعوا عن ثعلبة بن حاطب رضي الله تعالى عنه تهمة النفاق ، وأثبتوا أنه ممن شهد الله له ، ورسوله ﷺ بالإيمان ، ومن ثم أكدوا أنه بدري بدون شك .

نقل الإتفاق على ذلك الحافظ ابن حجر ، وقال الإمام ابن حزم الأندلسي : «ثعلبة بدري معروف» ، وقال الإمام القرطبي «ثعلبة . . . ممن حضر بدرا وشهدها»[١] .

وهذا كله تأكيد وأي تأكيد على أن ثعلبة بن حاطب رضي الله تعالى عنه من أهل بدر الكرام ، أصحاب رسول الله ﷺ ، أفضل المجاهدين ، حماة الإسلام ، رضي الله عنهم .

---

(١) انظر اقوالهم المنقولة عنهم آنفا ، تحت رقم (١٤ و ٦ و ١٠) .

أضف إلى ذلك تصريح ابن هشام ، وابن كثير أن ثعلبة ممن حضر بدرا من المسلمين ، انظر رقم (١) و (١٢) من أقوال العلماء المذكورة آنفا .

ولعل ابن هشام ـ والله تعالى أعلم ـ قد انتبه لهذه النقطة المهمة ، فترجم لها في (السيرة النبوية) «معتب وأبناء حاطب بدريون ، وليسوا منافقين» . ثم قال : «قال ابن هشام : معتب بن قشير ، وثعلبة والحارث إبنا حاطب ، وهم من بني أمية بن زيد ، من أهل بدر ، وليسوا من المنافقين ، فيما ذكر لي من اثق به من أهل العلم»[١] .

هكذا ينفي ابن هشام كغيره من العلماء عن ثعلبة بن حاطب صفة النفاق ، ليثبت بذلك أن ثعلبة بدري حقا ، ومن أهل بدر ، فإنه ممن حضر بدرا وشهدها فعلا مع المسلمين ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، ونفعنا بحبهم يوم الدين ، آمين .

وهذا مارجوت أن أخلص إليه ، من خلال هذا البحث ، فلله الحمد والمنة على عونه وتوفيقه ، وصلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

النقطة الثانية :

تعرض قصة ثعلبة لصفات الله عز وجل ، وأسمائه الحسنى

من المعلوم المسلم عند المسلمين ، أن لله تعالى صفات وصف بها نفسه ، وأسماء سمى بها نفسه ، ثبتت بالكتاب والسنة ، كما هو مبسوط في العقائد.

---

(١) (١ / ٥٢٢) .

وصفات الله تعالى كلها صفات كمال ، لانقص فيها بوجه من الوجوه ، ولا يجوز وصفه تعالى بأي صفة من صفات النقص .

وقد نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عما يصفونه من النقائص ، وردت في القرآن الكريم عدة آيات يبين الله تعالى فيها عقاب الواصفين له بالنقص ، ليكون ذلك زجرا لكل من يصف الله تعالى بصفات النقص في أي زمان ومكان تعالى الله عما يصفه الظالمون علوا كبيرا .

ومن صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه ، القدرة ، والإرادة ، والعلم.

فالله جل وعلا ، قادر ، مريد ، عليم يفعل كلما يريده بعلمه وقدرته ، دون تعطيل ، ولايقع في ملكه إلا مايريده سبحانه وتعالى .

فهذه صفات الكمال وصف الله تعالى بها نفسه .

وضدها ، العجز ، والكراهة ، والجهل ، وهي صفات نقص ، مستحيلة في حق الله العليم القدير .

وقد نزه الله تعالى نفسه منها ، قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[1] .

وبعد هذا ، لو تأملنا في قصة ثعلبة من هذه الناحية ، ندرك أنها تتعرض لهذه الصفات الثلاث ، القدرة ، والإرادة ، والعلم ، وتنسب لله تعالى ضدها وهي : العجز ، والكراهة ، والجهل ، وكأن الأمور تجري على خلاف إرادة الله

---

(١) ٤٤ / فاطر .

تعالى وعلمه ، وهذا مستحيل في حق الله تعالى ، لأن الأمور إذا جرت بخلاف ماأراده الله تعالى لزم أن يكون الله تعالى مكرها ، مقهورا ، يجري في ملكه ما لا يريده وهي حالة لا يرضى بها المخلوق المملوك لنفسه ، فكيف بالخالق ، ملك الملوك سبحانه وتعالى .

وبيان ذلك : أن الله تعالى كتب لعبده ثعلبة بن حاطب السعادة الأبدية ، بأن هداه للإسلام ، وجعله من أصحاب رسوله ﷺ ، ثم وفقه لشهود غزوة بدر ، وجعله من أهلها ، رضي الله تعالى عنهم ، وقد ذكرنا فضائل هذه الغزوة ، وأهلها في بداية هذا الباب ، وقد بشرهم الله تعالى بالمغفرة والجنة ، ثم تأتي قصة ثعلبة لتزعم أن ثعلبة رضي الله تعالى عنه يرتد ، ويصير منافقا ، ولم تقبل توبته ، ثم يموت على ذلك .

ومعلوم بالضرورة أن الموت على هذا الحال ـ والعياذ بالله تعالى ـ شقاوة ، وسوء الخاتمة ، ومصير صاحبها الخلود في النار .

كيف يعقل ذلك ، كيف يبشر الله تعالى أهل بدر جميعهم بالمغفرة الأكيدة والوعد الأكيد بالجنة ، حيث جاءت بصيغة الماضي ، (فقد غفرت لكم) ، (فقد أوجبت لكم الجنة) ، كيف يبشر الله تعالى أهل بدر بهذه البشارة العظيمة التي لم تقع لغيرهم ، كما تقدم ، ثم يختم لصحابي بدري مشهور على النحو الذي زعمت قصة ثعلبة .

وهذا الزعم باطل من عدة وجوه :

أحدها : أننا لو فرضنا أن الله تعالى أراد لثعلبة أن يموت على الحالة التي زعمتها القصة ، فهذا خلف الوعد ، وهو مستحيل في حق الله تعالى ، وقد قال الله جل وعلا وهو أصدق القائلين : ﴿ ألا إنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾[1] ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يُخلِفُ المِيعَادَ ﴾[2].

والآخر : أننا لو فرضنا أن ذلك حصل على خلاف ماأراده الله تعالى لعبده ثعلبة ، من حسن الخاتمة ، فهذا عجز ، وهو أيضا مستحيل في حق الله تعالى ، كما تقدم شرحه .

هذا هو الشق الأول من هذه النقطة ، أما الشق الآخر لها ، فهو تعرض القصة أيضا لأسماء الله الحسنى .

إن أسماء الله تعالي كلها حسنى ، أي بالغة في الحسن غايته ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسمَاءُ الحُسنَى ﴾ ، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لانقص فيها بوجه من الوجوه ، لا احتمالا ولا تقديرا[3] .

وقد سمى الله تعالى نفسه بأسماء منها ﴿ الغفور الرحيم ﴾ ، كما ورد في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ الغَفُورُ ذُو الرَّحمَةِ ﴾[5] .

---

(١) ٥٥ / يونس .

(٢) ٩ / آل عمران .

(٣) القواعد المثلى لابن عثيمين ، (ص٦) .

(٤) ٥٣ / الزمر ، وغيرها في عدة آيات .

(٥) ٥٨ / الكهف .

وقصة ثعلبة تتعرض لهذين الأسمين ، حيث تزعم أن الله تعالى لم يقبل توبة ثعلبة بن حاطب ، وبيانه كما يلي :

قال الشيخ ابن عثيمين ، في كتابه (القواعد المثلى) : «القاعدة الثالثة : أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور :

أحدها : ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل .

الثاني : ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل .

الثالث : ثبوت حكمها ومقتضاها .

ولهذا استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قطاع الطريق بالتوبة ، استدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾. لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى ، قد غفر لهم ذنوبهم ، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم»[1] .

وهكذا نستفيد من هذه الآية الكريمة ـ والله تعالى أعلم ـ ماتضمنته أسماء الله الحسنى من أحكام ، والدليل على قبول توبة التائب مهما عظمت جريرته ، وسيأتي شرحه في النقطة الثالثة ، وكذلك الدليل على الحكم بالظاهر ، وسيأتي شرحه في النقطة الرابعة إن شاء الله تعالى .

وبهذا ثبت معارضة القصة لأحكام شرعية وعقائدية ، ثبتت بالكتاب والسنة بل القصة لاتنسجم مع سياق الآيات التي زعمت القصة أنها نزلت في

---

(١) (ص١٠) ، الآية ٣٤ / المائدة .

ثعلبة ، وإليك بيانه :

ورد في هذه الآيات[1] قوله تعالى ﴿ **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ** ﴾ .

قال الإمام القرطبي في تفسيره : «وقيل إلى يوم يلقونه ، أي يلقون الله . وفي هذا دليل على أنه مات منافقا»[2] .

قلت : ومعنى هذا ، أنه مصر على نفاقه حتى الموت ؛ وعليه فإن التوبة لن تخطر له ببال ، وقد قال ابن جرير في تفسيره : «وحرمهم التوبة منه ، لأنه جل ثناؤه ، اشترط في نفاقهم أنه اعقبهموه إلى يوم يلقونه ، وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا»[3] .

والقصة تزعم أن ثعلبة بن حاطب ندم على صنيعه ، والندم توبة كما ورد في الحديث وسيأتي ، وجعل يحثو على رأسه التراب ، وقدم صدقته إلى النبي ﷺ ، ثم إلى خلفائه الثلاثة فلم يقبلوها منه ، وهكذا ظل يؤكد توبته ويكررها حتى الموت .

فالتعارض بين سياق الآيات وأحداث القصة واضح جلي .

ولهذا السبب وغيره انكر العلماء الكرام هذه القصة ، ولعل أقوال العلماء التي ذكرناها في هذا الصدد ، لم تغب عن ذهنك ، فالعهد بها قريب

---

(١) (٧٥ - ٧٧) التوبة .
(٢) (٨ / ٢١٢) .
(٣) (١٤ / ٣٧٠) .

،وأكررهنا قول الحافظ ابن حجر : «فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقا في قلبه ، وينزل فيه مانزل) ، ورحم الله تعالى الحافظ ، فإنه أصاب كبد الحقيقة ، ولله الحمد .

السعادة ، والشقاوة ، تقعان بمشيئة الله تعالى .

ثبت بما تقدم أن الله تعالى فعال لما يريد ، لايعجزه في ملكه شيء ويستحيل أن تجري الأمور ضد إرادته وعلمه جل وعلا ، تلك هي سنة الله تعالى في خلقه.

فمن وعده الله تعالى بالجنة أو النار فوعده تعالى حق وصدق ، لايخلف ولايبدل ، فمن كتب الله له السعادة فلا شاقي له ، ومن هداه فلا مضل له ، كما من كتب الله عليه الشقاوة فلا مسعد له ، ومن أضله فلا هادي له .

هذه هي عقيدة المسلم المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ومن تردد في ذلك فقد وقف أمام كلام الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ موقف التكذيب ، والعياذ بالله تعالى .

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ومستفيضة ، ونورد هنا آية واحدة لعلك قرأتها مرارا أثناء تلاوتك لكلام الله عز وجل .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ . وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ . وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١) .

---

(١) ١١١ / التوبة .

فهؤلاء المؤمنون المجاهدون وعدهم الله تبارك وتعالى بالجنة ، وعدا مؤكدا أوجبه على نفسه تكرما وتفضلا منه عز وجل ، وجعله حقا ثابتا لهم في التوراة والإنجيل والقرآن ، وقد أكد سبحانه وتعالى وعده تأكيدا بعد تأكيد (ومن أوفى بعهده من الله) ، فلا بد من حصول الموعود به ، فإنه لاأحد أوفى بعهده من الله عز وجل .

وفي السنة الشريفة أيضا كثير من الأحاديث الصحيحة يؤكد فيها الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، أن من وعده الله تعالى بالجنة أو النار ، فلا بد أن يتحقق ذلك .

نورد هنا بعض الأحاديث هي من أدلها على المقصود :

١ - أخرج مسلم في صحيحه ، وغيره ، عن جابر ؛ أن مولى حاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبا . فقال : يارسول الله ليدخلن حاطب النار . فقال رسول الله ﷺ : «**كَذَبتَ لايَدخُلُها فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدراً وَالحُدَيبِيَةَ**»[١] .

هذا الحديث بالذات والتي سنذكرها تكفي لنسف قصة ثعلبة من أساسها فإن القصة تدعي بدخول صحابي بدري النار ، والنبي ﷺ يكذب مثل هذا الإدعاء في صحابي بدري وتأمل رد النبي ﷺ على مولى حاطب ، فإن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه صحابي بدري ، ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة المتفق عليها . وله قصة كانت سببا في ورود الحديث المشهور في فضائل أهل بدر ، وقد تقدم .

---

(١) حديث رقم (٢٤٩٥) ، ٣٦ - باب من فضائل أهل بدر .

٢ ـ أخرج مسلم أيضا في صحيحه عن جابر بن عبدالله يقول : أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة : «**لايَدخُلُ النَّارَ ، إن شَاءَ اللَّهُ ، مِن أصحَابِ الشَّجَرَةِ أحَدٌ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحتَهَا**» قالت : بَلَى يَارَسُولَ اللَّه فَانتَهَرَهَا . فقالت حفصة : «**وَإنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا**» . فقا النبي ﷺ : «**قَد قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**»[١] .

وفي هذا الحديث الشريف أيضا يؤكد النبي ﷺ استحالة دخول أحد من أهل الشجرة النار ، كما مر في الحديث السابق ، وقد أنزل الله تعالى فيهم قوله : «**لَقَد رَضِيَ اللَّهُ عَنِ المُؤمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تَحتَ الشَّجَرَةِ ...**»[٢] ووردت أحاديث صحيحة في فضائلهم واستبعدت ذلك أم المؤمنين حفصة رضي الله تعالى عنها ، فاهمة أنهم داخلون تحت عموم قوله تعالى : ﴿«**وَإنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا**﴾ ، فأفهمها النبي ﷺ أنهم مستثنون بقوله : ﴿**ثم ننجي الذين اتقو...**﴾ وذلك ليقتلع من نفسها ذلك الإستبعاد ، فلا تقع في الخطأ الذي يقع فيه غيرها ، فالأمر واضح جلي ولا مجال للإجتهاد والتأويل أمام هذه النصوص الصريحة في الكتاب والسنة ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ**﴾[٣] .

٣ ـ روى الشيخان في صحيحيهما ، عن سلمة بن الأكوع ، قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، فتسيرنا ليلا ، فقال رجل من القوم لعامر بن

---

(١) حديث رقم (٢٤٩٦) ، ٣٧ – باب من فضائل أصحاب الشجرة ، والآية ١٩ / مريم .

(٢) ١٨ / الفتح .

(٣) ٢١ / الحديد ، ٤ / الجمعة ، ٥٤ / المائدة ، وفي آخرها (والله واسع عليم) .

الأكوع : ألا تسمعنا من هنياتك ؟ وكان عامر رجلا شاعرا ، فنزل يحدو بالقوم يقول ...... ، فقال رسول الله ﷺ : «مَن هَذَا السَّائِقُ» قالوا : عامر ، قال : «يَرحَمُهُ اللَّهُ» ، فقال رجل من القوم وجبت يارسول الله لولا امتعتنا به ، قال : فأتينا خيبر فحاصرناهم ... ، قال : فلما تصاف القوم كان سيف عامر فيه قصر ، فتناول به ساق يهودي ليضربه ، ويرجع ذباب سيفه فأصاب ركبة عامر ، فمات منه ، قال : فلما قفلوا قال سلمه ، وهو آخذ بيدي ، قال : فلما رآني رسول الله ﷺ ساكتا قال : «مَالَكَ» ؟ قلت له : فداك أبي وأمي زعموا أن عامرا حبط عمله ، قال : «مَن قَالَهُ» ؟ قلت : فلان وفلان وأسيد بن حضير الأنصاري ، فقال : «كَذَبَ مَن قَالَهُ إِنَّ لَهُ لأجرَانِ» وجمع بين أصبعيه «إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثلَه»[1] ، وفي رواية عند مسلم : .... قال سلمة : فقفل رسول الله ﷺ من خيبر ، فقلت : يارسول الله أئذن لي أن أرجز لك ، فأذن له رسول الله ﷺ .... ، قال : فلما قضيت رجزي قال رسول الله ﷺ : «مَن قَالَ هَذَا» قلت له : أخي ، فقال رسول الله ﷺ : «يَرحَمُهُ اللَّهُ» ، قال فقلت : يارسول الله إن ناسا ليهابون الصلاة عليه ، يقولون : رجل مات بسلاحه ، فقال رسول الله ﷺ : «مَاتَ جَاهِداً مُجَاهِداً»[2] .

في هذا الحديث الشريف دعا النبي ﷺ لعامر بن الأكوع بالشهادة

---

(١)(٢) البخاري حديث رقم (٤١٩٦) فتح الباري ، مسلم حديث رقم (١٢٣ - ١٨٠٢) ، واللفظ له . حديث رقم (١٢٤) ، وقوله : «إن له لاجران» قال الدكتور محمد فؤاد عبدالباقي في هامش (صحيح مسلم) : «ان له لاجران) ، هكذا وقع في معظم النسخ (لاجران) وفي بعضها (لاجرين) ، وهما صحيحان لكن الثاني هو الأشهر الأفصح ، والأول لغة اربع قبائل من العرب ، ومنها قوله تعالى (إن هذان لساحران) » .

بقوله«يرحمه الله» ، ولهذا قال : رجل من القوم : «وجبت يارسول الله لولا استعنابه» ، قال الإمام النووي في (شرح صحيح مسلم) : (معنى وجبت أي ثبتت له الشهادة ، وسيقع قريبا ، وكان هذا معلوما عندهم أن من دعا له النبي ﷺ هذا الدعاء في هذه المواطن استشهد» .

قلت : وقد صرح الراوي بذلك في رواية أخرى عند مسلم ، وفيها أن النبي ﷺ قال له : «غفر لك ربك» ، قال الرواي : وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد ، قال : فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له : يانبي الله لولا متعنا بعامر[1] .

والشهيد جزاؤه الجنة كما صرحت به الآية التي ذكرناها قبل قليل ، وغيرها من الآيات والأحادث كثيرة في هذا المعنى ، فكيف يحبط عمله ، والنبي ﷺ قد دعا له بالشهادة ، ولهذا حينما قيل فيه أنه حبط عمله ، كذب النبي ﷺ هذا القيل ، وأكد من جديد أنه «له لأجران» و«إنه لجاهد مجاهد» .

وهذا عكس ماحدث في غزوة خيبر نفسها لرجل قاتل فيها أشد القتال ، فقيل : «يارسول الله ، ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان ، فقال : إنه من أهل النار ، فقالوا : أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار)[2] .

---

(١) النووي (١٢ / ١٦٧) ، باب غزوة خيبر ، وصحيح مسلم (٣ / ١٤٤٠) ، حديث رقم (١٣٢ - ١٨٠٧) .
(٢) صحيح البخاري ، حديث رقم (٤٢٠٧) ، (فتح الباري) .

فجرح الرجل جرحا شديدا ، فاستعجل الموت ، فاشتد رجال من المسلمين ، فقالوا : يارسول الله ، صدق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه ، فقال : «قُم يافُلانُ فَأذِّن أنّهُ لايَدخُلُ الجَنّةَ إلا مُؤمِن ، إنَّ اللّهَ يُؤيِّدُ الدّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ»[1] .

القسم الثاني :

سبق وأن قسمنا هذا الباب إلى قسمين :

قسم يتعلق باتهام قصة ثعلبة ، صحابي بدري ثعلبة بن حاطب رضي الله تعالى عنه بالنفاق .

وبهذا الزعم تصطدم القصة مع ماورد في الكتاب والسنة من فضائل أهل بدر الكرام رضي الله تعالى عنهم ، كما تتعرض لصفات الله تعالى وأسماءه الحسنى ، وقد تم الرد على ذلك في النقطتين الأولى والثانية ، وبذلك تم ماقصدنا من الذب عن صحابي بدري جليل رضي الله تعالى عنه ، ولله الحمد .

أما القسم الثاني : وهو هذا فتعلق بتعارض القصة مع أحكام الشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ، ثابتة بالكتاب والسنة ، ومن أبرزها وأخطرها ، التوبة : أي أن الله تعالى أمر عباده أن يتوبوا إليه ، ووعدهم بقبول توبتهم إن فعلوا ذلك ، وكذلك أمر عباده جميعا أن يتعاملوا بظاهر أحوالهم

---

(١) صحيح البخاري ، حديث رقم (٤٢٠٣) فتح الباري ، واللفظ له ، وصحيح مسلم ، الحديثان رقم (١٧٨ - ١١١) و (١٧٩ - ١١٢) .

،وأن يفوضوا سرائرهم إلى الله تعالى .

وهذان أصلان من أعظم أصول الشريعة المحمدية ، وعليهما العمل منذ عصر النبوة ، وينطبقان علي الناس كافة ، في كل زمان ومكان ، سواء كانوا صحابة ، أو بدريين ، أو من عامة المسلمين ، بل ولو كانوا : كافرين ، أو منافقين ، أو مرتدين ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

ومن ثم لوفرضنا أن الشخص الذي ذكرته القصة ، ليس هو الصحابي البدري المشهور ثعلبة بن حاطب رضي الله تعالى عنه ، ولكنه شخص آخر ، ففي هذه الحالة أيضا ، تتعارض هذه القصة مع أحكام الشريعة المحمدية ، ونتولى الرد على ذلك بعون الله تعالى ، في النقطتين التاليتين ، الثالثة والرابعة .

النقطة الثالثة التوبة :

أوحى الله إلى رسوله محمد ﷺ ، بأن : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِم لَاتَقنَطُوا مِن رَحمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1] .

وقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبسُطُ يَدَهُ بِاللَّيلِ ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ . وَيَبسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ . حَتَّى تَطلُعَ الشَّمسُ مِن مَغرِبِهَا»[2] .

وبعد ، إن توبة الله على عباده مظهر من أعظم مظاهر سعة رحمة الله تعالى لبعاده .

والتوبة تجديد لما بين العبد وربه من صلات ، التي كاد أن يقطعها القنوط واليأس من رحمة الله جل وعلا ، الذي وسع كل شيء رحمة وعلما .

كما أن التوبة علاج لكثير من الأمراض النفسية والاجتماعية ، المستشرية في كثير من المجتمعات غير الإسلامية .

والنفس كثيرا ماتشعر بذنبها ، وتندم على فعلها ، وتذكر ماضيها وتود لو أنها كانت من المؤمنين الذين عملوا الصالحات ، فلو سد باب التوبة والرجوع إلى الله تعالى ، لظل أغلب الناس يتخبطون في ظلمات المعاصي ، ولكن فتح باب التوبة يسد على إبليس كثيرا من النوافذ ، وقد تكون توبة العاصي عند الله أحسن من عبادة العابد ، والذي يرجع عن السوء ، وينخرط في سلك التوابين قد يكون عند الله من المقربين ، لأنه يعمل عن عقيدة عملا صادرا من نفس أدركت خطر المعاصي ولذة الطاعات .

---

(١) ٥٣ / الزمر .

(٢) صحيح مسلم ، حديث رقم (٣١ - ٢٧٥٩) .

وقد أمر الله تعالى رسله أن يدعوا الناس إلى التوبة كدعوتهم إلى التوحيد .
فقال جل شأنه حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴾[1] ، وعن هود عليه السلام : ﴿ وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾[2] ، وعن صالح[3] وشعيب[4] عليهما السلام كذلك . وأنزل على صفوة خلقه ، خاتم أنبياءه ورسله ، سيدنا محمد ﷺ : ﴿ الر ، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ○ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ، إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ○ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾[5] .

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تحث على المبادرة إلى التوبة عند وقوع الذنب ، وتحذر عن الوقوع في اليأس والقنوط ، وتهدد من يعرض عن التوبة .

قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾[6] ، وعن يعقوب ، عليه السلام : ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[7] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[8].

هكذا يحذر الله تعالى الرؤوف الرحيم عباده من اليأس والقنوط ، ويفتح لهم باب التوبة ، ليتوب عليهم إذا تابوا وأنابوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .

فما بال قصة ثعلبة تقنط الناس من رحمة الله تعالى الغفور الرحيم ، وقد نهى الله تعالى ورسوله ﷺ عن ذلك كما تقدم .

---

(١) ١٠ / نوح .
(٢) ٥٢ / هود .
(٣) ٦١ / هود .
(٤) ٩٠ / هود .
(٥) ١ - ٣ هود .
(٦) ٥٦ / الحجر .
(٧) ٨٧ / يوسف .
(٨) ١١ / الحجرات .

ولأهمية هذا الموضوع وخطورته نحبذ أن نقف عنده وقفة أطول لنتناوله بمزيد من الشرح والتوضيح .

فالقصة تزعم أن ثعلبة عندما جاء تائبا إلى الله ورسوله مما بدر منه من قول وفعل ، نادما باكيا ، خائفا وجلا ، وقدم صدقته إلى النبي ﷺ ، طائعا غير مكره ، امتنع النبي ﷺ عن قبول توبته وصدقته ، هكذا تزعم القصة ، وأن ثعلبة ازداد حزنه وندمه عند ذلك وأخذ يحثو التراب على رأسه ، ثم أتى الخلفاء الثلاثة فرفضوه أيضا .

حكاية غريبة جدا ! تخالف أبسط أصول وقواعد الشريعة الإسلامية ، ولهذا أبدا الشيخ محمد رشيد رضا استغرابه الشديد منها ، كما تقدم .

وهذا الجزء من القصة يشتمل على عدة مسائل هامة تحتاج إلى شرح وبيان ، نلخصها فيما يلي :

١ - امتناع النبي ﷺ عن قبول توبة وصدقة ثعلبة .

٢ - الذنب الذي اقترفه ثعلبة على زعم القصة ، ذو شقين : قولي وفعلي .

أما القولي : فقوله ماهذه إلا جزية ، ماهذه إلا أخت الجزية .

وأما الفعلي : فامتناعه عن أداء صدقته ، كما تزعم القصة . وتشير القصة إلى أن ثعلبة بهذا القول والفعل ، صار منافقا ، ونزلت فيه الآيات - والعياذ بالله ولهذا لم تقبل توبته ، وردت صدقته .

٣ - امتناع الخلفاء الثلاثة من قبول صدقته ، والتعامل معه على خلاف أحكام الشرع .

وقبل أن نشرع في شرح المسائل المذكورة آنفا ، نود أن نلفت الإنتباه إلى شيء مهم جدا في هذا الموضوع .

وذلك أنه ثبت بالكتاب والسنة أن التوبة لاتنفع صاحبها في حالتين .

إحداهما : حال الغرغرة ، أي وصول الروح الحلقوم ، عند الموت .

والأخرى : إذا طلعت الشمس من مغربها .

وقد روى الترمذي ، وابن ماجة وغيرهما ، عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي ﷺ قال : **«إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَالَم يُغَرغِر»**[1] .

وأخرج مسلم في صحيحه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **«مَن تَابَ قَبلَ أن تَطلُعَ الشَّمسُ مِن مَغرِبِهَا ، تَابَ اللَّهُ عَلَيهِ»**[2] .

وقد وردت في كتاب الله تعالى آيات في هذا المعنى .

قال تعالى : **﴿إنَّما التَّوبَةُ عَلَى اللهِ للَّذِينَ يَعمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيهِم ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ○ وَلَيسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّآتِ ، حَتَّى إِذَا حَضَرَ أحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ إِنِّي تُبتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُم كُفَّارٌ﴾**[3] .

وقوله تعالى : **﴿يعملون السوء بجهالة﴾** . ذكر المفسرون عدة أقوال في تفسيره ، منها ماذكره الحافظ ابن كثير في (تفسيره) ، قال : (وقال قتادة عن أبي العالية ، إنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ ، كانوا يقولون : كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة ، رواه ابن جرير ، وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال : اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ ، فرأوا أن كل شيء عصي الله به ،

---

(١) سنن الترمذي ، حديث رقم (٣٦٠٣) ، تحفة الأحوذي ، ١٠٣ - باب . وقال : «هذا حديث حسن غريب» ، وسنن ابن ماجة ، حديث رقم (٤٢٥٣) ، وخرجه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجة) ، حديث رقم (٣٤٣٠) ، وقال : حسن ، كما خرجه في (صحيح الجامع الصغير) ، حديث رقم (١٩٠٣) ، وقال : حسن ، وأخرجه أيضا أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي .

(٢) حديث رقم (٤٣ - ٢٧٠٣) .

(٣) ١٧ - ١٨ / النساء .

فهو جهالة عمدا كان أو غيره)[1] .

وقوله تعالى : ﴿ **ثم يتوبون من قريب** ﴾ أي سريعا قبل مفاجأة الموت ، وذلك مالم يغرغر .

وأورد الحافظ ابن كثير في (تفسيره) عدة أحاديث في هذا الموضوع ، ثم قال : (فقد دلت هذه الأحاديث ، على أن من تاب إلى الله عز وجل ، وهو يرجو الحياة ، فإن توبته مقبولة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما** ﴾ ، وأما متى وقع الإياس من الحياة ، وعاين الملك ، وخرجت الروح في الحلق ، وضاق بها الصدر ، وبلغت الحلقوم ، وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم ، فلا توبة مقبولة حينئذ ، ولات حين مناص ، ولهذا قال : ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن** ﴾ وهذا كما قال تعالى : ﴿ **فلما رأوا بأسنا قالو آمنا بالله وحده** ﴾ الآيتين ، وكما حكم تعالى بعدم قبول توبة أهل الأرض ، إذا عاينوا الشمس طالعة من مغربها ، في قوله تعالى : ﴿ **يَومَ يأتي بَعضُ آيَاتِ ربِّكَ لايَنفَعُ نَفساً إيمَانُها لَمْ تَكُن آمَنَت مِن قَبلُ أو كَسَبَت فِي إيمَانِها خَيراً** ﴾ الآية[2].

فهاتان الحالتان لاتنفع فيهما التوبة ، أما في غيرهما ، فإن الله تعالى بفضله وكرمه يقبل توبة التائب ، ويصفح عنه ، ويغدق عليه رحمته ، مهما كثرت ذنوبه وعظمت خطاياه ، كما ورد في الأحاديث الصحيحة .

أما ماورد في القرآن الكريم عن عدم قبول توبة بعض الناس ، في غير هاتين الحالتين ، فقد بين الله سبحانه وتعالى سبب ذلك في تلك الآيات ، وسيأتي شرحه إن شاء الله تعالى خلال هذا الفصل .

---

(١) ١ / ٤٦٣ .

(٢) ١ / ٤٦٤ ، والآية رقمها ١٥٩ / الأنعام ، وانظر تفسير ابن كثير (٢ / ١٩٣ - ١٩٥) .

ولنقرأ مثلا ، قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ** ﴾ الآية[1] .

فأنت ترى أن الله تعالى ذكر في هاتين الآيتين صنفين من الكفار ، منهم من لم يتب أصلا ، وظل مصرا على كفره ، ومات على الكفر ، وإليه أشار تعالى بقوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّار** ... ﴾ .

ومنهم من تاب ، ثم كفر ، ثم ازداد كفرا «أي واستمر عليه إلى الممات» ، فالنتيجة واحدة ، أنه لم يستفد من توبته التي تابها ، والأمور بخواتيمها ، فحكمه نفس حكم الذي لم يتب أصلا ، ومات على الكفر .

وهذا هو السبب في عدم قبول توبته التي تابها ، لأنه رجع فنقضها بالكفر ، وأصر على الكفر حتى الموت ، نسأل الله تعالى حسن الخاتمة[2] .

هذه مسألة مهمة تتعلق بموضوع قبول التوبة وعدمها ، قدمناها بين يدي شرحنا للمسائل التي ذكرناها آنفا ، فاحفظها جيدا .

ونشرع الآن بشرح تلك المسائل ، ونسأله تعالى العون والسداد .

المسألة الأولى : زعم القصة : إمتناع النبي ﷺ عن قبول توبة ثعلبة ، وكذلك صدقته .

ثبت بالكتاب والسنة أن النبي ﷺ كان حريصا أشد الحرص على هداية البشرية كافة ، وفي سبيل ذلك تحمل أذى الناس ، منذ أن جهر بدعوته ، وكان حزنه يشتد حينما يعرض الناس عن دعوته ، حتى قال الله سبحانه وتعالى :

---

(١) ٩٠ - ٩١ / آل عمران .

(٢) انظر تفسير الشوكاني (١ / ٣٢٧) ، وابن كثير (١ / ٣٨٠) .

﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفسَكَ عَلَى آثَارِهِم إن لَم يُؤمِنُوا بِهَذَا الحَدِيث أسَفاً** ﴾[1] .

وقال جل وعلا : ﴿ **أفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه فَرآهُ حَسَناً ، فَإنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذهَب نَفسُكَ عَلَيهِم حَسَرَاتٍ ، إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصنَعُونَ** ﴾[2] .

والله سبحانه وتعالى سمى نفسه في كتابه الكريم : (الرؤوف الرحيم) وكذلك سمى عبده ورسوله محمدا ﷺ «رؤوفا رحيما» . وقد سمى النبي ﷺ نفسه : (نبي التوبة ، ونبي الرحمة) . فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال : «**أنَا مُحَمَّدٌ ، وأحمَدُ ، والمُقَفِّي ، وَالحَاشِرُ ، وَنَبِيُّ التَّوبَةِ ، وَنَبِيُّ الرَّحمَةِ**»[3] .

وقد أرشد الله سبحانه وتعالى عباده العصاة والمذنبين ، إذا وقع منهم الخطأ والعصيان ، أن يبادروا إلى رسول الله ﷺ ، فيستغفروا الله تعالى عنده ، ويسألوه أن يستغفر لهم ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ، واقرأ معي قوله تعالى : ﴿ **وَلَو أنَّهُم إذ ظَلَمُوا أنفُسَهُم جَاءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللَّهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً** ﴾[4] .

فما بال ثعلبة - حسب زعم القصة - لم يقبل النبي ﷺ توبته ، رغم ذهاب ثعلبة إليه ، تائبا ، مقرا بذنبه ، مقدما صدقته ، كما ورد في القصة نفسها .

كل هذا يتعارض مع النصوص المذكورة آنفا ، وغيرها من الآيات والأحاديث الكثيرة الواردة في هذا الموضوع ، وسنذكر بعضها خلال هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

---

(١) ٦ / الكهف .

(٢) ٨ / فاطر .

(٣) حديث رقم (٢٣٥٥) ، كتاب الفضائل ، ٣٤ - باب فى أسمائه صلى الله عليه وسلم .

(٤) ٦٤ / النساء .

المسألة الثانية : أما المسألة الثانية بهذا الصدد وهي قول ثعلبة ، على زعم القصة : (ماهذه إلا جزية ، ماهذه إلا أخت الجزية) ، وامتناعه عن أداء الزكاة ، فقد وردت آيات وأحاديث كثيرة صريحة قي قبول توبة من قال أو فعل أعظم من هذا القول أو الفعل .

وقد كان النبي ﷺ كثيرا مايتعرض للقول الغليظ والفعل العنيف من بعض الناس ، ولكنه ﷺ كان يعفو عنهم ، ويلبي طلبهم .

إنه صلوات الله وسلامه عليه تعود منهم الجفوة في الخطاب ، والعنف في المعاملة ، كان الواحد منهم يأخذ بتلابيبه ، ويهزه في عنف ، ويخاطبه في جفوة وقحة وغلظة ، ومع ذلك يقابله الرسول الكريم بأوسع ماعرف الناس من حلم ، ويكون عفوه في النهاية شاملا ، كل ذلك قد ورد في الأحاديث الصحيحة لايتسع المجال لذكرها .

ونذكر هنا بعض الأقوال التي تغضب الله تعالى ورسوله ﷺ ولكن لم يعجل الله تعالى لقائليها بالعقوبة ، بل شمل بعضهم بعفوه وغفرانه ، وأمهل آخرين ودعاهم إلى التوبة والمغفرة .

منها ماورد في (سورة الحجرات) عن الذين نادوه ﷺ من وراء الحجرات نداء شديدا مزعجا ، فأنزل الله تعالى فيهم قوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ○ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[(١)] .

آيات أخرى تخبرنا عن تكذيب الكفار للنبي ﷺ ، وطعنهم في كتاب الله تعالى ، ولكن مع ذلك وعدهم بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر ، وفيه

---

(١) ٤ - ٥ / الحجرات .

إشعار بحلمه تعالى عليهم إذ لم يعاجلهم بالعقوبة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ○ أم يقولون افتراه . قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا . هو أعلم بما تفيضون فيه ، كفى به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم** ﴾[1] .

وفي سورة (التوبة) وغيرها ، آيات تذكر قبائح المنافقين ومنها :

قولهم كلمة الكفر ، وكفرهم بعد إسلامهم ، ولكن مع ذلك كله تحثهم على التوبة ، وتهدد من أعرض عنها ، قال تعالى : ﴿ **يحلفون بالله ماقالوا . ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا . ومانقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله . فإن يتوبوا يك خيراً لهم . وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً اليماً في الدنيا والآخرة** ﴾[2] .

فأنت ترى أن هذه الأقوال الفظيعة الشنيعة ، لم يغلق الله تعالى باب التوبة في وجوه قائليها بسببها ، بل رغبهم في رحمته ومغفرته ، وتوبته عليهم إن تابوا ورجعوا إليه جل شأنه .

فأين قول القائل في زعم القصة (إن هي إلا جزية ...) من هذه الأقوال .

وأفظع وأشنع من هذه الأقوال كلها ، قولهم أن لله تعالى ولدا ، ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً** ﴾[3] ، إنه قول منكر عظيم تناهى في القبح والشناعة ، واقرأ قوله تعالى : ﴿ **وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ○ لقد جئتم شيئاً إدًا ○ تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا ○ أن دعو للرحمن ولداً** ﴾[4] .

---

(١) ٧ – ٨ / الأحقاف .

(٢) ٧٤ / التوبة .

(٣) ٥ / الكهف .

(٤) ٨٨ - ٩١ / م

من هذه الآيات ندرك عظم هذا القول ، وأنه يغضب الله تعالى أشد الغضب ، ولكن مع ذلك دعاهم الله تعالى إلى التوبة والإستغفار وطمعهم في مغفرته ورحمته سبحانه وتعالى ، قال جل علاه : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ . وَمَامِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ . وَإِن لَم يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ○ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ . وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1] .

نعود فنقول أين قول القائل : (إن هي إلا جزية) ، من هذه الكلمات كلها .

وما تقدم يتعلق بالقول ، أما مايتعلق بالفعل ، وذلك امتناع ثعلبة عن أداء الصدقة ، حسب زعم القصة ، فنقول :

إن الزكاة قرينة الصلاة في الحكم ، فقد وردتا في الكتاب والسنة موردا واحدا . فمن لم يصل قوتل على ترك الصلاة ، ومن لم يزك أخذت الزكاة من ماله قهرا ، وإن نصب الحرب لذلك قوتل ، كما هو مبسوط في كتب الفقه .

وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة)[2] .

إذا تقرر ذلك فاقرأ معي قوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوفَ يَلقَونَ غَيّاً ○ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً فَأُولَئِكَ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ وَلا يُظلَمُونَ شَيئاً﴾[3] .

ثبت بهاتين الآيتين الكريمتين أن الله سبحانه وتعالى يقبل توبة من رجع عن ترك الصلوات .

وقد تقدم أن الزكاة قرينة الصلاة ، واقتران الصلاة بالزكاة معتاد في الشرع ، فتأخذ حكم الصلاة في قبول التوبة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) ٧٣ - ٧٤ / المائدة .

(٢) صحيح البخاري ، حديث رقم (١٤٠٠) فتح الباري ، كتاب الزكاة ، ١ - باب وجوب الزكاة .

(٣) ٥٩ - ٦٠ / مريم .

وذكر الله تعالى في الآيتين السابقتين اتباع الشهوات أيضا ، وبين جزاءها واستثنى من تاب من ذلك ، كما ورد في آيات أخرى ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَايَدعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَايَقتُلُونَ النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَلَايَزنُونَ . وَمَن يَفعَل ذَلِكَ يَلقَ أَثَاماً ○ يُضَاعَف لَهُ العَذَابُ يَومَ القِيَامَةِ وَيَخلُد فِيهِ مُهَاناً ○ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّآتِهِم حَسَنَاتٍ . وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ○ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً﴾[1] .

فقد ذكر الله تعالى في هذه الآيات ثلاثة من الذنوب ، هي : الإشراك بالله سبحانه وتعالى ، وقتل النفس التي حرمها الله إلا بالحق ، والزنى ، وهي من أمهات الكبائر ، وعنوان الرذائل ، وبين الله تعالى عقاب من يفعل ذلك ، ولكنه هنا أيضا استثنى من تاب من ذلك .

ومعلوم أن الإشراك بالله سبحانه وتعالى أعظم الذنوب ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَايَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ....﴾[2] . أي من لم يتب منه ، ومات مشركا ، والعياذ بالله تعالى ، أما من تاب منه فيقبل الله تعالى توبته ، كما تقدم .

وقد أشرك بنوا إسرائيل بعبادتهم للعجل ، فعفا الله عنهم ، وتاب عليهم . قال تعالى : ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَومِهِ يَاقَومِ إِنَّكُم ظَلَمتُم أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ العِجلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُم فَاقتُلُوا أَنفُسَكُم . ذَلِكُم خَيرٌ لَكُم عِندَ بَارِئِكُم . فَتَابَ عَلَيكُم . إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3] .

وهكذا يعفو الله سبحانه وتعالى عن عباده المذنبين ، ويفتح لهم باب الرجاء

---

(١) ٦٨ - ٧١ / الفرقان .

(٢) ٤٨ و ١١٦ / النساء .

(٣) ٥٤ / البقرة ، وانظر الآية رقم (١٥٣) الأعراف.

والتوبة ، فقد جاهره كثير من عباده بالعصيان والكفر واجتراح السيئات وارتكاب المنكرات ، بل تجاوزوا الحد وجعلوا له شركاء وأندادا ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فنسبوا له الولد .

وقد أورد الحافظ ابن كثير في (تفسيره) حديثا عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيهم ويدفع عنهم ويرزقهم**» ، وعزاه للإمام أحمد ، وقال : أخرجاه في الصحيحين[1] .

ولكن رغم كل ماذكرناه ، فالله جلت قدرته وتقدست أسماؤه يعفو عن عباده ، ويفرح لتوبتهم ، ويتوب عليهم إذا تابوا وأنابوا إليه ، وليس ذلك فحسب بل يبدل سيئاتهم حسنات ، ويحسن عاقبتهم ويجعلهم من ورثة جنة النعيم ، إنه هو الغفور الرحيم ، إنه هو الرؤوف الرحيم ، إنه هو التواب الرحيم ، عظيم المغفرة ، واسع التوبة ، لا إله إلا هو الحليم الكريم .

هذا ، فزعم عدم قبول توبة التائب إلى الله تعالى ورسوله ، إجتراء وتقول على الله تعالى ورسوله ﷺ ، والله تعالى أعلم ، نستغفره ونتوب إليه .

أما زعم القصة عدم قبول الصدقة ، فمعارض لإحكام الشرع ، والآيات والأحاديث الواردة في هذا الموضوع .

فمن الآيات قوله تعالى : ﴿**خُذ مِن أَموَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيهِم . إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُم . وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ أَلَم يَعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَأخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ**﴾[2] .

---

(١) ٣ / ١٣٨ - ١٣٩ ، تفسير الآيات : ٨٨ - ٩١ / مريم ، صحيح البخاري ، حديث رقم (٦٠٩٩ و ٧٣٧٨) فتح الباري ، وصحيح مسلم ، حديث رقم (٤٩ و ٥٠ - ٢٨٠٤) .

(٢) ١٠٣ - ١٠٤ / التوبة .

قال الحافظ ابن كثير في (تفسيره) : (أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم ويزكيهم بها ، وهذا عام) وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ** .... ﴾ الآية ، قال : (هذا تهييج إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها ، وأخبر تعالى أن كل من تاب إليه ، تاب عليه ، ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها حتى تصير التمرة مثل أحد)[1].

قلت : وقد وردت عدة أحاديث في هذا المعنى في الصحيحين والسنن وغيرها . منها مارواه الترمذي في (سننه) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه[2] ورواه الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب) قال : وفي رواية صحيحة للترمذي ، قال رسول الله ﷺ : «**إن الله يقبل الصدقة ، ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهرة حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد ؛ وتصديق ذلك في كتاب الله : ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ، ويمحق الله الربا ، ويربي الصدقات**»[3] .

وروى الطبراني في الكبير عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل ، ثم قرأ عبدالله : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** ﴾[4] .

---

(١) ٢ / ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٢) حديث رقم (٦٥٩) تحفة الأحوذي ، ٢٨ - باب ماجاء في فضل الصدقة ، وقال : هذا حديث صحيح ، وأورده ابن كثير في تفسير الآيتين المذكورتين آنفا ، وقد صرح بصحته المنذري كما تقدم ، وخرجه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) ، حديث رقم (١٩٠٢) وقال : صحيح ، كما خرجه في صحيح الترغيب والترهيب ، حديث (٨٤٩).

(٣) ٢ / ٣ ، الترغيب في الصدقة ، قال في آخره : ورواه مالك بنحو رواية الترمذي هذه عن سعيد بن يسار مرسلا ، لم يذكر أبا هريرة .

(٤) خرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد) ، ٣ / ١١٤ ، باب فضل الصدقة ، قال في آخره : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عبدالله بن قتادة المحاربي ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله ثقات ، وأورده ابن كثير أيضا في تفسيره للآيتين السابقتين .

فأنت ترى أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأخذ من أموال المسلمين صدقة تطهرهم من الذنوب ، وأن يعطف عليهم بالإستغفار لهم والدعاء ، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ** ﴾ وهذا الحكم عام يشمل كل من تاب من الشح والبخل ، وأدى الصدقة امتثالا لأمر الله تعالى وفي الحديث المتفق عليه : «ويتوب الله على من تاب» وسيأتي إن شاء الله تعالى .

فما بال ثعلبة لم تقبل توبته ، وترد صدقته ، على زعم القصة .

أما الآيات التي نصت على عدم قبول اعتذار بعض المنافقين وكذلك صدقتهم وغير ذلك ، فسيأتي تفصيل ذلك كله قريبا إن شاء الله تعالى .

والجدير بالذكر في هذا المقام ، أنه قد وردت قصة نحو قصة ثعلبة في حديث صححه غير واحد من العلماء ، وقد قبل النبي ﷺ توبة ذلك الشخص ، وكذلك صدقته ، ودعا له .

والحديث أخرجه النسائي في (سننه) ، عن وائل بن حجر ، أن النبي ﷺ بعث ساعيا ، فأتى رجلا ، فأتاه فصيلا مخلولا ، فقال النبي ﷺ : «**بَعَثْنَا مُصَدِّقَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنَّ فُلاناً أَعطَاهُ فَصِيلا مَخلُولاً ، اللَّهُمَّ لا تُبَارِكَ فِيهِ ، ولا في إِبِلِهِ**» . فبلغ ذلك الرجل فجاء بناقة حسناء ، فقال : أتوب إلى الله عز وجل ، وإلى نبيه ﷺ ، فقال النبي ﷺ : «**اللَّهُمَّ بَارِكَ فِيهِ ، و في إِبِلِهِ**»[1] .

---

(١) ١ / ٣٤٠ - ٣٤١ ، باب الجمع بين المتفرق ، والتفريق بين المجتمع . وخرجه الألباني في (صحيح سنن النسائي) ، حديث رقم (٢٣٠٦) ، وقال : صحيح الإسناد . وأورده الإمام ابن حزم في كتابه (المحلى) ، ٤ / ١٢٤ ، مسألة رقم (٦٧٤) ، لايجوز في الزكاة غير السن الواجبة ، وقال : هذا خبر صحيح . وقال محقق الكتاب : هذا الحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، رقم (٢٢٧٤) ، والحاكم في مستدركه ، (١ / ٤٠٠) ، وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي في التلخيص ، وكذا أخرجه النسائي في سننه في الزكاة - باب ١٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى له (٤ / ١٥٧) .

فهذا الحديث صححه العلماء ، وقصة ثعلبة تتعارض معه ، وروایاتها كلها واهية ، فتسقط ، كما هو مبسوط في كتب المصطلح .

وإن قيل أن قصة ثعلبة تحكي أن ثعلبة رفض أن يعطي صدقته للمصدق ، أما صاحب هذه القصة قد أعطى صدقته للمصدق .

قلت : أنت ترى أن ذلك الرجل بفعله قد أغضب رسول الله ﷺ ، حتى دعا عليه ، لأن صدقته لم تكن وفق أحكام الشرع ، وتأمل ترجمة الإمام إبن حزم لهذا الحديث كما تقدم : (لايجوز في الزكاة غير السن الواجبة) ، وإخراج ذلك الرجل فصيلا مخلولا في زكاته يعتبر تعديا ، وكأنه بفعله هذا قد منع الزكاة فعلا .

وقد ورد حديث مشهور في هذا المعنى ذكره كثير من أهل الحديث في كتبهم ، فقد أخرج الأئمة أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة في سننهم وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «**المعتَدِي فِي الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا**»[1] . وخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد) ، عن جرير رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : «المتعدي في الصدقة كمانعها»[2] .

---

(١) أبو داود ، حديث رقم (١٥٨٥) ، وصحيحه للألباني ، حديث رقم (١٤٠٣) ، وقال : حسن .
الترمذي ، حديث رقم (٦٤١) ، تحفة الأحوذي ، وقال : وفي الباب عن ابن عمر ، وأم سلمة ، وأبي هريرة ، وقال : حديث أنس حديث غريب من هذا الوجه .
ابن ماجة ، حديث رقم (١٨٠٨) ، وصحيحه للألباني ، حديث رقم (١٤٦٤) ، وقال : حسن ؛ مشكاة المصابيح ، حديث رقم (١٨٠١) ، قال الألباني - يقصد الترمذي - «واستغربه» ثم قال : «وإسناده حسن» ؛ الترغيب والترهيب ، (١ / ٥٦٦) ، قال : رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة في صحيحه ، كلهم من رواية سعد بن سنان ، عن أنس ، وذكر استغراب الترمذي له ، ثم قال : وسعد بن سنان وُثِّقَ ، كما سيأتي ؛ الجامع الصغير ، للسيوطي ، وخرجه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) ، حديث رقم (٦٧١٩) وقال : صحيح . هكذا وقع في النسخة التي في يدي ، وعزاه لأحمد وابن خزيمة بالإضافة إلى السنن الثلاثة ، عن أنس رضي الله تعالى عنه . كما خرجه في (صحيح الترغيب والترهيب) ، حديث رقم (٧٨٣) .
(٢) قال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله ثقات ، (٣ / ٨٦) ، باب التعدي في الصدقة .

قال الإمام ابن العربي ، في (شرح سنن الترمذي) : (المعنى من العارضة للسائل والمسؤول ، أن يقال بأن الصدقة دائرة بين آخذ ومأخوذ منه ، فالآخذ يلزمه في أخذه وظائف ويتعلق به حدود ، وكذلك المأخوذ منه مثله ، ومن يأخذ ماليس له كمن يمنع ما عليه ، لأن كل واحد منهما قد يتعدى حدود الله ، فهما شريكان في الإثم ، لأن المأخوذ منه إذا امتنع من إعطاء ما عليه ، فهو متعد على مستحق الحق.........)[1] .

بيان من تقبل توبته ومن ترد :

قد يقال أن من المنافقين من لم يقبل إعتذاره ، وصدقته ، ومنهم من لم ينتفع باستغفار رسول الله ﷺ له ، وقد وردت في ذلك آيات .

والجواب : أننا قد أسلفنا أن الدعوة إلى التوبة عامة للبشرية قاطبة ، ولا تستثنى فئة دون فئة ، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة مستفيضة .

وقد تذكر تلك الآيات قبائح المنافقين ، وعاقبة أمرهم في الدنيا والآخرة ، وتكشف عن سترهم ، وتبين فساد قلوبهم ، وسوء سريرتهم ، ولكنها مع ذلك تحثهم على التوبة ، وتفتح لهم باب الرجاء ، إن يتوبوا تقبل توبتهم ، ويتب الله تعالى عليهم بفضله العميم وكرمه الواسع .

ولا نطيل عليك بل ندعوك لتقرأ الآيات رقم (١٣٧ - ١٤٧) من سورة النساء ، فقد ذكر الله تعالى قبائح المنافقين ، ثم قال في آخرها : ﴿ ... **إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصلَحُوا وَاعتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخلَصُوا دِينَهُم لله فَأُولَئِكَ مَعَ المُؤمِنِينَ** ﴾ الآية .

وغيرها آيات كثيرة في هذا الموضوع ، وفي سورة التوبة وردت آيات منها الآيتان رقم (٧٣ - ٧٤) ، وقد تقدم ذكرهما ، قال تعالى : ﴿ **فَإِن يَتُوبُوا يَكُ**

---

(١) ٣ / ١٤٥ ، باب المعتدي في الصدقة .

خَيراً لَهُم . وَإن يَتَوَلَّوا يُعَذِّبهُمُ اللهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ ﴾ .

وقد تاب كثير من المنافقين وقبلت توبتهم وحسنت عاقبتهم .

ولكن هناك آخرون مردوا على النفاق ، وأعرضوا عن التوبة ، ورغبوا عن استغفار رسول الله ﷺ لهم ، استكبارا عن ذلك ، ولهذا لم ينتفعوا باستغفار رسول الله ﷺ لهم ، فهؤلاء ليس لهم من الله توبة ولا مغفرة ولا عفو .

ونفتح الآن المصحف الكريم :

ولنقرأ معا الآيتين رقم (٥ ، ٦) من سورة المنافقين ، يقول الله تعالى مخبرا عن المنافقين أنهم : **﴿إِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوا يَستَغفِر لَكُم رَسُولُ اللهِ لَوَّوا رُؤُسَهُم ﴾** أي صدوا ، وأعرضوا عما قيل لهم ، استكبارا عن ذلك ، واحتقارا لما قيل لهم ، ولهذا قال تعالى : **﴿وَرَأَيتَهُم يَصُدُّونَ وَهُم مُستَكبِرُونَ﴾** ثم جازاهم على ذلك ، فقال تعالى : **﴿ سَوَاءٌ عَلَيهِم أَستَغفَرتَ لَهُم أَمْ لَم تَستَغفِر لَهُم لَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم إِنَّ اللهَ لايَهدِي القَومَ الفَاسِقِينَ ﴾**[1] .

تلاحظ أن الله تعالى وصفهم هنا وفي عدة آيات أخرى بالفسق ، سنذكر بعضها إن شاء الله تعالى ، احفظ هذا جيدا .

ولنقرأ كذلك الآية رقم (٨٠) من سورة التوبة يقول الله تعالى : **﴿ استَغفِر لَهُم أَو لا تَستَغفِر لَهُم . إِن تَستَغفِر لَهُم سَبعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم . ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ . وَاللهَ لايَهدِي القَومَ الفَاسِقِينَ ﴾** .

أخبر الله تعالى رسوله ﷺ ، بأن صدور الإستغفار منه للمنافقين وعدمه سواء ، لا ينفعهم ذلك ، لإصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر .

وقد علل الله تعالى عدم المغفرة لهم ، بقوله : **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَفَرُوا بِاللهِ**

---

(١) (٤ / ٣٦٩) تفسير ابن كثير .

وَرَسُولِه) ﴾ ، وداوموا على هذا مداومة طمست بصائرهم ، فلن يروا خيرا أبدا فلا تستغفر لهم ، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لايَهدِي القَومَ الفَاسِقِينَ** ﴾ أي المتمردين ، الخارجين عن الطاعة ، المتجاوزين لحدودها .

وهكذا بين المولى جل وعلا سبب عدم انتفاع المنافقين الذين عنتهم هذه الآيات ، باستغفار رسول الله لهم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

أما عدم قبول **اعتذار** بعض المنافقين ، فقد بين الله تعالى سبب ذلك أيضا .

واقرأ الآيتين رقم (٦٥ - ٦٦) من سورة التوبة ، قال تعالى بعد ذكر قبائح المنافقين ﴿ **وَلَئِن سَأَلتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلعَبُ . قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِه وَرَسُولِه كُنتُم تَستَهزِءُونَ ○ لا تَعتَذِرُوا قَد كَفَرتُم بَعدَ إِيمَانِكُم . إِن نَعفُ عَن طَائِفَةٍ مِنكُم نُعَذِّب طَائِفَةً بِأَنَّهُم كَانُوا مُجرِمِينَ** ﴾ .

أي ولئن سألتهم عما قالوه من الطعن في الدين وثلب المؤمنين ، ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، فقال تعالى : ﴿ **قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِه وَرَسُولِه كُنتُم تَستَهزِءُونَ** ﴾ أي قل لهؤلاء المنافقين ، أتستهزئون بدين الله وشرعه ، وكتابه ورسوله ؟ ثم كشف الله تعالى أمرهم وفضح حالهم ، فقال : ﴿ **لا تَعتَذِرُوا** ﴾ إلى قوله ﴿ **نُعَذِّب طَائِفَةً** ﴾ . أي إن نعف عن فريق منكم ، وهم من أخلص الإيمان وترك النفاق وتاب عنه ، إن نعف عن فريق منكم ، ونقبل توبته الخالصة ، نعذب فريقا آخر ، بسبب ﴿ **أَنَّهُم كَانُوا مُجرِمِينَ** ﴾ مصرين على النفاق لم يتوبوا منه[1].

أما عدم قبول **نفقات** بعض المنافقين ، فقد بين الله تعالى سبب ذلك أيضا .

واقرأ الآيات رقم (٥٣ - ٥٥) من سورة التوبة ، يقول الله تعالى : ﴿ **قُلْ اَنفِقُوا طَوعاً أَو كَرهاً لَن يُتَقَبَّلَ مِنكُم . إِنَّكُم كُنتُم قَوماً فَاسِقِينَ ○ وَمَا مَنَعَهُم اَن تُقبَلَ مِنهُم نَفَقَاتُهُم إِلاَّ أَنَّهُم كَفَرُوا بِاللَّه وَبِرَسُولِه وَلا يَأتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُم كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُم كَارِهُونَ ○ فَلا تُعجِبكَ أَموَالُهُم وَلا أَولادُهُم . إِنَّمَا**

---

(١) انظر فتح القدير (٢ / ٣٥٩ - ٣٦٠) .

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُم وَهُم كَافِرُونَ ﴾ .

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُم كُنتُم قَوماً فَاسِقِينَ ﴾ تعليل لرد إنفاقهم ، أي لأنكم كنتم عتاة متمردين خارجين عن طاعة الله تعالى ، ثم أكد هذا المعنى بقوله : ﴿وَمَا مَنَعَهُم اَن تُقبَلَ مِنهِم نَفَقَاتُهُم إِلاَّ أَنَّهُم كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﴾ .

فأنت ترى أن المولى جل وعلا ذكر السبب المانع من قبول نفقاتهم ، وهو الكفر ، واتبعه بما هو مستلزم له ، وهو إتيانهم الصلاة كسالى ، وإيتاء النفقة في سبيل الله وهم كارهون ، لأنهم لايرجون بذلك ثوابا ولا يخافون عقابا .

وأظنك على ذكر مما أسلفنا بصدد تلازم الصلاة والزكاة ، وهذا مما يؤيده أيضا .

وقوله تعالى : ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُم وَهُم كَافِرُونَ ﴾ ، الزهوق : الخروج بصعوبة ، والمعنى أن الله يريد أن تزهق أنفسهم وتخرج أرواحهم حال كفرهم ، لعدم قبولهم لما جاءت به الأنبياء وأرسلت به الرسل ، وتصميمهم على الكفر ، وتماديهم في الضلالة[1] .

وكرر القرآن ذلك في الآية رقم (٨٥) من سورة التوبة ، حين منع النبي ﷺ أن يصلي على من مات من المنافقين ، فقال جل شأنه : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنهُم مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُم عَلَى قَبرِهِ ، إِنَّهُم كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُم فَاسِقُونَ ○ وَلَا تُعجِبكَ أَموَالُهُم وَأَولَادُهُم . إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنيَا وَتَزهَقَ أَنفُسُهُم وَهُم كَافِرُونَ ﴾[2] .

هنا أيضا بين الله سبحانه وتعالى سبب النهي عن الصلاة على المنافقين ، فجملة ﴿ إِنَّهُم كَفَرُوا ﴾ تعليل لهذا النهي .

---

(١) فتح القدير (٢ / ٣٥٣) .
(٢) ٨٤ - ٨٥ / التوبة .

وإنما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر ، لأن الكافر قد يكون عدلا في دينه ، والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبحة في كل دين[1] .

فأنت ترى أن المولى عز وجل وصف المنافقين بالفسق في آيات كثيرة ، وبخاصة الآيات التي تعني المنافقين الذين لم يتوبوا من النفاق بل استمروا عليه حتى الموت ، كما تقدم ذكرها .

وقد تأكد الحكم عليهم بالفسق بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ المَنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾[2] .

وهكذا صارت هذه الصفة القبيحة الشنيعة من أبرز صفات المنافقين ، وظلت ملازمة لهم حتى الموت ، وكان جزاء الفاسقين كما قال الله تعالى :

﴿ **كَذَلِكَ حَقَّت كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُم لا يُؤمِنُونَ** ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ حَقَّت كَلِمَتُ رَبِّكَ** ﴾ أي حكمه وقضاؤه ﴿ **عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا** ﴾ أي خرجوا من الحق إلى الباطل ، وتمردوا في كفرهم عنادا ومكابرة[4] ﴿ **أَنَّهُم لا يُؤمِنُونَ** ﴾ . انهم يظلون على العناد والإستكبار وعدم الإيمان ، فهم لا يؤمنون ، فلذلك حقت عليهم كلمة العذاب لشقاوتهم وضلالتهم . والله تعالى أعلم .

وهكذا ثبت بما تقدم أن المنافقين كانوا صنفين :

منهم من تاب إلى الله تعالى توبة صادقة ، فقبل الله تعالى توبته ، وكتب له السعادة الأبدية ، وحسنت عاقبته في الدنيا والآخرة .

---

(١) فتح القدير (٢ / ٣٧١) .

(٢) ٦٧ / التوبة .

(٣) ٣٣ / يونس .

(٤) فتح القدير (٢ / ٤٢٣) .

ومنهم من أعرض عن التوبة ، علوا وعتوا وغرورا ونفورا ، وأصر وداوم على الإجرام والكفر والفسوق . فقد فتح الله لهم باب توبته ورحمته ، ليدخلوه بقلوب تائبة مخلصة ، فأبوا ذلك ، وأعرضوا عنه ، كفرا وجحودا ، ودعوا إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لهم ، فلووا رؤوسهم ، استكبارا عنه ، واستهزاء به ، فكان جزاؤهم على ذلك كله ، الطرد من رحمة الله تعالى ، والموت على أسوأ الخاتمة والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ، تحقيقا لقوله تعالى : ﴿**وَإِن يَتَوَلَّوا يُعَذِّبهُمُ اللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ . وَمَالَهُم فِي الأَرضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾[1] .

النقطة الرابعة :

ومن جملة تناقضات ومخالفات قصة ثعلبة مصادمتها لأصول الشريعة الإسلامية المحمدية ، ومنها : معاملة الناس جميعا بظواهرهم ، وتفويض سرائرهم إلى الله تعالى .

بناء على ماتقدم في النقطة الثالثة ، قد يقال أنه طالما ثبت بالنص القرآني ، عدم قبول اعتذار بعض المنافقين ، وصدقتهم ، وكذلك عدم انتفاعهم باستغفار رسول الله لهم ، فلا إشكال إذا في زعم القصة عدم قبول توبة ثعلبة وصدقته ، لاحتمال كون ثعلبة من هذا الصنف من الناس .

<u>والجواب على ذلك من وجوه :</u>

أولا : أن العمل كان جاريا منذ عهد النبوة على معاملة الناس جميعا

(١) ٧٤ / التوبة .

بظواهرهم ، وتفويض سرائرهم إلى خالقهم ، علام الغيوب ، اللطيف الخبير ، لأنه سبحانه وتعالى الذي يتولى خبايا أسرارهم ، وخفايا ضمائرهم ، من إيمان وكفر ونفاق ، وأما النبي ﷺ ، فإنما أمر أن يحكم بظواهر أفعالهم وأقوالهم .

وقد تظافرت الشواهد على ذلك في الكتاب والسنة .

منها قوله تعالى : ﴿ **فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1] .

وقد جعل الإمام البخاري هذه الآية الكريمة بابا من أبواب كتاب الإيمان في صحيحه ، وأخرج تحت هذا الباب الحديث المتواتر الذي رواه جمع من الصحابة ، وأخرجه الستة وغيرهم من أئمة الحديث في مصنفاتهم ، والحديث معناه مطابق لمعنى هذه الآية ، نذكر هنا رواية الصحيحين .

عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : « **أُمرتُ أن أقاتلَ النَّاسَ حَتَّى يَشهَدُوا أن لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ ، وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّه ، ويُقيمُوا الصَّلاةَ ، ويُؤتُوا الزَّكَاةَ . فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وأموَالَهُم إلاَّ بِحَقِّ الإسلامِ ، وحِسَابُهُم عَلَى اللَّه** »[2] .

وقوله ﷺ : « وحسابهم على الله » ، قال في (فتح الباري) : (أي في أمر سرائرهم . وقال : وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة ، والحكم بما يقتضيه الظاهر)[3] وقال الإمام النووي في (شرح صحيح مسلم) : (وفيه أن الأحكام تجري على الظاهر ، والله تعالى يتولى السرائر)[4] .

---

(١) ٥ / التوبة .

(٢) صحيح البخاري ، حديث رقم (٢٥ / فتح الباري) ، ١٧ - باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، صحيح مسلم ، حديث رقم (٣٢) ، ٨ - باب الأمر بقتال الناس ... ووكلت سريرته إلى الله تعالى ، وقتال من منع الزكاة أو غيرها .

(٣) ١ / ٧٧ ، الباب المذكور آنفا .

(٤) ١ / ٢١٢ ، الباب المذكور آنفا ، كتاب الإيمان .

وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «**أمرتُ أن أقاتلَ النّاسَ حتّى يقولُوا لا إلهَ إلاَّ اللّهُ ، فإذا قالُوها ، وصَلُّوا صلاتَنا، واستَقبلُوا قبلَتَنا ، وذَبَحُوا ذَبيحَتَنَا ، فَقَد حَرُمَت عَلَينا دِمَاءُهُم وأموالُهُم إلاَّ بِحقِهَا ، وَحِسَابُهُم عَلَى اللّهِ**»[1] .

حديث آخر متفق عليه أيضا من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه أن رجلا أساء إلى النبي ﷺ ، فاستأذنه خالد بن الوليد ليضرب عنق ذلك الرجل ، فقال رسول الله ﷺ : «**لا ، لَعَلَّهُ أن يَكُونَ يُصَلِّي**» ، فقال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه ، فقال رسول الله ﷺ : «**إنِّي لَمْ أُومَر أن أنقُبَ عَن قُلُوبِ النّاسِ . وَلا أشُقَّ بُطُونَهم**»[2] .

حديث آخر متفق عليه أيضا ، عن أسامة بن زيد بن حارثة ، قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة . فصبحنا القوم فهزمناهم . ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم . فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله . فكف عنه الأنصاري . وطعنته برمحي حتى قتلته ، قال فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي : «**يا أُسَامَةَ أقَتَلتَهُ بعدمَا قَالَ : لا إلَهَ إلاَّ اللّهُ**» . قال قلت يارسول الله إنما كان متعوذا . قال ، فقال : «**أقتَلتَهُ بَعدَمَا قَالَ : لا إلَهَ إلاَّ اللّهُ**» . قال فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[3] .

وفي رواية عند مسلم : قال [أي أسامة] ، قلت : يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح . قال : «**أفَلا شَقَقتَ عَن قَلبِهِ حَتَّى تَعلَم أقَالَهَا أم لا**»[4] .

---

(١) حديث رقم (٣٩٢ / فتح الباري) ، ٢٨ - باب فضل استقبال القبلة .

(٢) صحيح البخاري ، حديث رقم (٤٣٥١ / فتح الباري) ، كتاب المغازي ، صحيح مسلم ، حديث رقم (١٤٤) ، الرقم العام (١٠٦٤) ، كتاب الزكاة ، ٤٧ - باب ذكر الخوارج وصفاتهم .

(٣) صحيح البخاري ، حديث رقم (٤٢٦٩ / فتح الباري) ، كتاب المغازي ، صحيح مسلم ، حديث رقم (١٥٩) الرقم العام (٩٦) ، ٤١ - باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله .

(٤) حديث رقم (١٥٨) ، الرقم العام (٩٦) .

ثبت بما تقدم أن العمل كان جاريا منذ عصر النبوة على معاملة الناس جميعا بظواهرهم ، وتفويض سرائرهم إلى الله تعالى ، بل حتى المحاربين والجواسيس أيضا كانوا يعاملون على هذا الأساس .

وإليك مثلا حيا من السنة المطهرة بهذا الصدد ، بالإضافة إلى ما تقدم .

فقد روى أبو داود ، في (سننه) وغيره عن فرات بن حيان ، أن رسول الله ﷺ أمر بقتله ، وكان عينا لأبي سفيان ، وكان حليفا لرجل من الأنصار ، فمر بحلقة من الأنصار فقال : إني مسلم ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله إنه يقول : إني مسلم ، فقال رسول الله ﷺ : «**إن منكم رجالا نكلهم إلى إيمانهم، منهم فرات بن حيان**»[1] .

أي نصرف أمرهم إلى إيمانهم ، ونفوضه إليه ، ونقبله منهم[2] .

أما قول من يقول إن ثعلبة الذي ذكرته القصة ربما يكون من الناس الذين لم يقبل اعتذارهم ، وكذلك صدقتهم ، وعدم انتفاعهم باستغفار رسول الله لهم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، كا ورد في الآيات .

فالجواب :

أننا قد وضحنا من قبل أن الله تعالى بين سبب عدم قبول اعتذار البعض ،

---

(١) حديث رقم (٢٦٥٢) ، ٩٤٦ - باب في الجاسوس الذمي ، قال الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد ، محقق سنن أبي داود ، في إسناده أبو همام الدلال محمد بن محبب ، ولا يحتج بحديثه ، وهو راويه عن سفيان الثوري ، وقد رواه عن الثوري أيضا بشر بن السري البصري وهو ممن اتفق البخاري ومسلم على الإحتجاج بحديثه ، ورواه عن الثوري أيضا عباد بن موسى الأزرق العباداني ، وكان ثقة ، (٣ / ٦٦) ، قلت : وخرجه الألباني في (صحيح سنن أبي داود) ، حديث رقم (٢٣١٠) ، وقال : صحيح ، قلت : وما نقلته آنفا عن الشيخ محمد محي الدين ، ذكره برمته الإمام الشوكاني في (نيل الأوطار) (٨ / ٩) باب قتل الجاسوس إذا كان مستأمنا أو ذميا ، والحديث أخرجه أيضا الإمام أحمد في مسنده ، وفرات بن حيان : ترجم له في (الإصابة) (٣ / ١٩٥) ، و(الإستيعاب) (٣ / ١٩٧) ، و(أسد الغابة) .

(٢) بذل المجهود (١٢ / ١٧٢ - ١٧٤) .

وكذلك صدقتهم ، وعدم انتفاعهم باستغفار رسول الله لهم ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال المفسرون :

لما نزلت الآيات تفضح المنافقين وتكشف الأستار عنهم ، مشى إليهم أقرباؤهم من المؤمنين ، وقالوا لهم : ويلكم لقد افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم ، فأتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق واسألوه يستغفر لكم ، فأبوا وحركوا رؤوسهم سخرية واستهزاء فنزلت الآية : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ** ﴾[1] ، ويؤيده ما أخرجه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم ، ونزول الآيات في المنافقين[2] .

فأنت ترى أن هؤلاء الذين عنتهم هذه الآية والتي بعدها ، قد أعرضوا عن التوبة ، واستكبروا عن استغفار رسول الله لهم ، وكل ذلك قد تقدم بالتفصيل .

أما ثعلبة ، فالقصة المزعومة نفسها تشهد له ، أنه رغم ابتعاده عن النبي ﷺ وعن الصحابة ، ولكن قلبه كان معلقا بهم ، ولشدة اهتمامه بأمر المسلمين ، إذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى الأخبار من الناس ، ويسألهم عن شؤون المسلمين وأحوالهم ... ، وعن رسول الله ﷺ وأخباره ، وحينما نقل إليه أحد أقاربه ماسمعه من النبي ﷺ في حقه ندم أشد الندم على ما فعله ، وأسرع بالذهاب إلى رسول الله ﷺ وسأله أن يقبل منه صدقته ، كل هذا قد ذكرته القصة نفسها ، فالقول أن ثعلبة ربما كان من الذين لم يقبل توبتهم وصدقتهم وغير ذلك ، غير صائب .

---

(١) صفوة التفاسير ، (٣ / ٣٨٦) الآية : ٥ و ٦ / المنافقون .

(٢) حديث رقم (٢٧٧٢) ، كتاب صفة المنافقين .

وكذلك القول بأن ثعلبة ربما لم يكن صادقا في توبته ، ولهذا لم تقبل توبته وصدقته ، فإنه افتراض بعيد عن جو القصة نفسها ، ومخالف لأصول الشرع كما تقدم شرحه .

فذهابه إلى النبي ﷺ ، فور بلوغه الخبر ، وندمه وبكاؤه وحثو التراب على رأسه لشدة الحسرة والألم والحزن عند عدم قبول توبته وصدقته ، حسب زعم القصة ، ثم عرضه صدقته على الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم ، كل ذلك قد حكته القصة المزعومة نفسها .

وكل ذلك يدل دلالة أكيدة على أن الرجل كان صادقا في توبته ، نادما على فعلته ، طامعا في عفو الله تعالى ومغفرته ومن كان هذا حاله تنطبق عليه الآية الكريمة ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾[1] والله تعالى أعلم .

كيف لايقبل الله تعالى توبة التائبين ، واعتذار المعتذرين ، وقد أرسل الله تعالى رسله يدعون الناس إليها ، وقد تقدم بيان ذلك كله .

وأخرج مسلم في (صحيحه) عن عبدالله بن مسعود ، عن رسول الله ﷺ ، حديثا في آخره « ..**وَلَيسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيهِ العُذرُ مِنَ اللهِ . مِن أَجلِ ذَلِكَ أَنزَلَ الكِتَابَ وَأَرسَلَ الرُّسُلَ**»[2] .

وبما تقدم ثبت أن قصة ثعلبة تصطدم مع أصول وأحكام الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وقد بينا وشرحنا فيما يتعلق بالتوبة ، وكذلك مايتلعق بعدم قبول الصدقة .

---

(١) ٦٤ / النساء .

(٢) حديث رقم (٣٥) ، الرقم العام (٢٧٦٠) ، ٦ - باب غيرة الله تعالى ، وتحريم الفواحش .

ونضيف هنا أن زعم القصة في عدم قبول الزكاة أيضا مخالف لأحكام الشرع . فالآيات والأحاديث التي ذكرناها من قبل تؤكد ذلك ، وآية أخرى في (سورة التوبة) ورقمها (١١) وردت في هذا المعنى ، قال تعالى : ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾[1] وقد ذكرها البخاري في صحيحه مع حديث جرير ، وعليه تعليق مفيد للحافظ[2] .

وقد ثبت بالأحاديث الصحيحة أخذ الزكاة من مانعيها بالقوة ، قال الإمام الشوكاني في (نيل الأوطار) : (واعلم أنها قد وردت في أحاديث صحيحة ، قاضية بأن مانع الزكاة يقاتل حتى يعطيها) وذكر أحاديث أهمها الحديث الذي أوردناه في بداية هذه النقطة الرابعة ، وقد أخرجه الشيخان عن ابن عمر وأوله : «**أمرتُ أن أقاتِلَ النَّاسَ**» الحديث[3] . وقد ذكر الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) في عدة مواضع «أن من لم يزك أخذت الزكاة من ماله قهرا ، وان نصب الحرب لذلك قوتل»[4] ، ونحوه قال الإمام النووي في (شرحه على صحيح مسلم)[5] .

وبعد كل ما تقدم ، فحكاية عدم قبول الصدقة ، غريبة جدا .

وقد فهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، بفراسته الصائبة ، وبمعرفته بأسرار مقاصد الشريعة ، أنه يجب مقاتلة مانعي الزكاة ، ووافقه عليه كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجميعين .

فكيف يقاتل أبو بكر ومعه الصحابة مانعي الزكاة ، ثم يأتيه شخص ويلح

---

(١) (٢) حديث رقم (١٤٠١ / فتح الباري) ، ٢ - باب البيعة على إيتاء الزكاة .

(٣) ٤ / ١٣٧ ، كتاب الزكاة ، باب الحث عليها والتشديد في منعها .

(٤) ١٢ / ٢٧٥ ، ٣ - باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة ، وتحته حديثان رقم (٦٩٢٤ - ٦٩٢٥) .

(٥) ١ / ٢١٢ ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

عليه أن يقبل منه زكاته ، فيرفضه أبو بكر ، وكذلك يفعل عمر ، ومن بعده عثمان ، إنه أمر غريب حقا .

فإن قيل أن النبي ﷺ قضى في هذا الأمر بعلمه ، وهو تصرف تأديبي .

قلت : أن هذا التأويل لقصة لم تثبت عن النبي ﷺ يخالف الآيات والأحاديث التي ذكرناها في هذا الموضوع .

وقد أفاد الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) ، أن التائب لا يعزر ، بدليل أن النبي ﷺ ، لم يعاقب الذي جامع في نهار رمضان ، رغم اعترافه بالمعصية ، وقد ارتكب تلك المعصية عامدا عارفا بالتحريم ، قال الحافظ : (وتوجيهه أن مجيئه - إلى النبي ﷺ - مستفتيا ، يقتضي الندم والتوبة ، والتعزير إنما جعل للإستصلاح ، ولا استصلاح مع الصلاح) ، وقال : (وقد ترجم لذلك البخاري في الحدود ، وأشار إلى هذه القصة»[1] .

قلت : يقصد عدم معاقبة ذلك الرجل ، وقوله : (في الحدود) أي في كتاب الحدود ، ونصه هكذا : (٢٦ - باب من أصاب ذنبا دون الحد فأخبر الإمام ، فلا عقوبة عليه بعد التوبة ، إذا جاء مستفتيا) ، واتبع هذا الباب عدة أبواب أخرى تحتها عدة أحاديث ، تتعلق بموضوعنا هذا ، وللحافظ تعليقات مفيدة عليها[2]

إذا تأويل عدم قبول توبة وزكاة ثعلبة بأنه كان بعلمه ﷺ ، وأنه تصرف تأديبي ، يتعارض مع النصوص الصريحة في الكتاب والسنة ، وكذلك أصول وقواعد الشريعة ، الواردة في هذا الموضوع .

---

(١) ٤ / ١٦٤ - ١٦٥ ، ٣٠ - باب إذا جامع في رمضان .
(٢) ١٢ / ١٣١ .

وكذلك عدم قبول الخلافاء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم ، لاينسجم مع أقوالهم وأفعالهم بهذا الصدد .

وإذا قبلنا جدلا أن عدم قبول توبة وزكاة ثعلبة ، كان بعلمه ﷺ ، وأنه كان تصرف تأديبي ، فأي فائدة في عدم قبول زكاته بعد وفاة النبي ﷺ ، وقد علمنا أن أبا بكر قاتل مانعي الزكاة ، ووافقه عليه الصحابة كما تقدم .

ومن أين للخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم أن يعلموا بعد انقطاع الوحي ، أن ثعلبة كان كاذبا في توبته ، وقد قبلوا توبة كل من عاد إلى الإسلام من المرتدين بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وقد ذكرنا في الباب الأول ، كما ذكره الحافظ ابن حجر في مصنفاته عن رجوع الأشعث بن قيس إلى الإسلام بعد الردة .

قال الحافظ في كتابه (نزهة النظر) : (فإنه كان - أي الأشعث بن قيس - ممن ارتد ، وأتي به إلى أبي بكر الصديق أسيرا ، فعاد إلى الإسلام ، فقبل منه ذلك ، وزوجه أخته ، ولم يتخلف أحد عن ذكره في الصحابة ، ولا عن تخريج أحاديثه في المسانيد وغيرها)[1] .

وقبول توبة المرتد ثابت بالتكاب والسنة ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **كَيفَ يَهدي اللَّهُ قَوماً كَفَرُوا بَعدَ إيمَانِهِم وَشَهِدُوا أنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجاءَهُمُ البَيِّنَاتُ . وَاللَّهُ لا يَهدي القَومَ الظَّالِمينَ ○ أولَئكَ جَزاؤُهُم اَنَّ عَلَيهِم لَعنَةَ اللَّه وَالملائكَة وَالنَّاسِ أجمَعِينَ ○ خَالدينَ فيهَا . لا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلا هُم يُنظَرُونَ ○ إلاَّ الَّذينَ تَابُوا مِن بَعدِ ذَلِكَ وَأَصلَحُوا . فَإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[2] .

---

(١) ص٥٦ .

(٢) ٨٦ - ٨٩ / آل عمران .

وأخرج النسائي في (سننه) وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، قال : كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ، ثم تندم فأرسل إلى قومه ، سلوا رسول الله ﷺ ، هل لي من توبة ؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : إن فلانا قد ندم ، وأنه أمرنا أن نسألك ، هل له من توبة ؟ فنزلت ﴿ **كَيفَ يَهدِي اللَّهُ قَوماً كَفَرُوا بَعدَ إِيمَانِهِم** ﴾ إلى قوله ﴿ **غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ ، فأرسل إليه فأسلم[1] .

وخرج الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) حديثا طويلا ، وعزاه للبزار ، قال فيه أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : « ... **فكنا نقول : والله لا يقبل الله ممن افتتن صرفا ولا عدلا ، ولايقبل توبة قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، أنزل الله عز وجل فيهم ، وفي قولنا لهم ، وقولهم لأنفسهم (يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِم لا تَقنَطُوا مِن رَحمَةِ اللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً . إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)** » ... الحديث[2] .

فثبت بما تقدم أن العمل كان جاريا منذ عهد النبوة على معاملة الناس جميعا بظواهرهم ، وتفويض سرائرهم إلى خالقهم جل وعلا .

---

(١) ٢ / ١٧٠ ، باب توبة المرتد ، وخرجه الألباني في (صحيح سنن النسائي) ، حديث رقم (٣٧٩٢) ، وقال : صحيح الإسناد ، وأورده الشيخ مقبل الوادعي في كتابه (الصحيح المسند من أسباب النزول) ، ص٥٣ ، وقال : «الحديث رجاله رجال الصحيح ، وقد أعاده مرسلا وموصولا ، وأخرجه ابن حبان كما في مورد الظمآن ، ص٤٢٧ ، والطحاوي في مشكل الآثار (ج٤ ص١٤) ، والحاكم (ج٢ ص١٤٢) و (ج٤ ص٣٦٦) ، وفي كلا الموضعين قال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي» ، وأورده الحافظ ابن كثير أيضا في تفسيره ، وذكر تصحيح الحاكم له ، ثم نقل عن عبدالرزاق له قصة (١ / ٣٧٩) ، كما أورده الإمام الشوكاني في فتح القدير (١ / ٣٢٨) .

(٢) ٦ / ٦٤ ، باب الهجرة إلى المدينة ، وقال : رواه البزار ورجاله ثقات ، وللحديث قصة ذكرها بطولها الهيثمي ، وأورده الشيخ مقبل الوادعي في (صحيح المسند) ، ص١٩٨ ، وأورده أيضا ابن كثير في تفسيره (٤ / ٦٠) ، كما أورده الشوكاني في تفسيره (٤ / ٤٥٩) .

وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة صريحة في ذلك ذكرنا بعضها فيما تقدم وآخرها حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في قبول توبة المفتتن ، كما ذكرنا كيف عامل الصحابة الذين عادوا إلى الإسلام بعد الردة ، بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وانقطاع الوحي ، عملا بالظاهر ، لأنهم كانوا يعلمون جيدا كيف كان يتعامل النبي ﷺ مع من يظهر توبته واعتذاره ، ومن الأحاديث في هذا الموضوع إضافة إلى ماتقدم ذكرها : ماأخرجه الشيخان في صحيحيهما ، في قصة كعب بن مالك وصاحبيه ، وهم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، قال كعب رضي الله تعالى عنه في حديثه الطويل : « ... **وأصبح رسول الله ﷺ قادما ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له - وكانوا بضعة وثمانين رجلا - فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله** ... » الحديث[1] .

فكلام كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه واضح ، لا يحتاج إلى شرح ، وعلى هذا الأساس تعامل الصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون مع الناس ، بعد وفاة رسول الله ﷺ وانقطاع الوحي .

وقد أخرج البخاري في (صحيحه) عن عبدالله بن عتبة قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول : «**إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وإن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسب سريرته ، ومن أظهر لنا سوء لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة**»[2] .

---

(١) البخاري ، حديث رقم (٤٤١٨ / فتح الباري) ، كتاب المغازي . مسلم ، حديث رقم (٥٣ - ٢٧٦٩) ، كتاب التوبة .

(٢) حديث رقم (٢٦٤١ / فتح الباري) ، كتاب الشهادات .

وفي رواية أبي فراس عن عمر عند الحاكم : «إنا كنا نعرفكم ، إذ كان فينا رسول الله ﷺ ، وإذ الوحي ينزل ، وإذ يأتينا من أخباركم ، ألا ومن يظهر منكم خيرا ، ظننا به خيرا وأحببناه عليه ؛ ومن يظهر لنا شرا ، ظننا به شرا وأبغضناه عليه ؛ سرائركم فيما بينكم وبين ربكم»[(١)] .

وبعد هذا التحقيق يتضح لذي عينين وضوح الشمس في رابعة النهار ، أن القصة المزعومة ليس لها أصل ، وإن كان سندها من أوهى الأسانيد كما تقدم ، فمتنها منكر باطل تالف ، مخالف لأبسط الأصول والقواعد الشرعية ، كما تقدم شرحه بإسهاب ، وبه ثبت عدم صحة الرواية التي تجعل قصة ثعلبة المزعومة ، سببا لنزول الآيات رقم (٧٥ - ٧٨) من سورة التوبة .

والحق أن يقال في هذه الآيات الكريمات أنها نزلت في بعض المنافقين ، الله أعلم بأسمائهم وبأحوالهم ، وكما قال سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) : (وسواء كانت هذه القصة مصاحبة لنزول الآيات أو كان غيرها ، فإن النص عام ، وهو يصور حالة عامة ، ويرسم نموذجا مكررا للنفوس التي لم تستيقن ، ولم يبلغ الإيمان فيها أن يتمكن)[(٢)] .

هذا هو الطريق الأمثل في التعامل مع هذه الآيات الكريمة وأمثالها ، وقدوتنا في ذلك شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري ، حيث قال في تفسير الآية رقم (٧٤) من (سورة التوبة) ، بعد إيراد عدة أقوال في تفسيرها : (قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها ، أنهم لم يقولوها وجائز أن يكون ذلك القول ماروي عن عروة : أن الجلاس قاله وجائز أن يكون قائله عبدالله بن أبي بن سلول ، والقول ماذكر قتادة عنه أنه قال : ولا علم لنا

---

(١) فتح الباري (٥ / ٢٥٢) ، كتاب الشهادات ، ٥ - باب الشهداء العدول ... » .
(٢) ٣ / ١٦٨٠ .

بأي ذلك من أي ، إذ كان لا خبر بأحدهما يوجب الحجة ، ويتوصل به إلى يقين العلم به ، وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل ، فالصواب أن يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه : ﴿ **يَحلفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا . وَلَقَد قَالُوا كَلِمَةَ الكُفرِ وَكَفَرُوا بَعدَ إِسلامِهِم ....** ﴾ الآية[1] .

ومن أحسن ماقيل في نقد متن قصة ثعلبة ، هو قول الإمام ابن حزم في كتابه (المحلى بالآثار) ، فقد قال : وقال تعالى ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **وبما كانوا يكذبون** ﴾ ، قال : وهذه أيضا صفة أوردها الله تعالى ، يعرفها كل من فعل ذلك من نفسه ، وليس فيها نص ولا دليل ، على أن صاحبها معروف بعينه ، على أنه قد روينا أثرا لا يصح ، وفيه أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب ، وهذا باطل ، لأن ثعلبة بدري معروف ، وهذا الأثر عن أبي أمامة قال : جاء ثعلبة بن حاطب بصدقته إلى عمر فلم يقبلها ، وقال : لم يقبلها النبي ﷺ ، ولا أبو بكر ، ولا أقبلها . قال أبو محمد : وهذا باطل بلا شك ، لأن الله تعالى أمر بقبض زكوات أموال المسلمين ، وأمر عليه السلام عند موته أن لا يبقى في جزيزة العرب دينان ، فلا يخلوا ثعلبة من أن يكون مسلما ففرض على أبي بكر ، وعمر قبض زكاته ولا بد ، ولا فسحة في ذلك ، وإن كان كافرا ففرض أن لا يقر في جزيرة العرب ، فسقط هذا الأثر بلاشك[2] .

قلت : وقوله (لأن الله تعالى أمر بقبض زكوات أموال المسلمين) فواضح وثابت بالكتاب والسنة ، وكما أثبتنا أنه يجب قبض الزكاة حتى من المنافقين بناء على ظواهرهم ، وكذلك المرتدين إذا أظهروا توبتهم ، كل ذلك قد تقدم شرحه .

---

(١) ١٤ / ٣٦٤ .

(٢) ١٢ / ١٣٧ ، كتاب الحدود ، مسألة رقم (٢٢٠٣) ، ما ورد من أن من المنافقين من لا يعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم .

أما قوله (وأمر عليه السلام عند موته أن لايبقى في جزيرة العرب دينان ، فتشهد له عدة أحاديث ، منها حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ، عند أحمد والطبراني ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ ، أن قال : «**لا يترك بجزيرة العرب دينان**»[1] .

وقال الحافظ ابن حجر في (الإصابة) : (..... وقول ابن عبدالبر : لم يبق بمكة ولا الطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم وشهد مع النبي ﷺ حجة الوداع ، ومثل ذلك قول بعضهم في الأوس والخزرج إنه لم يبق منهم أحد في آخر عهد النبي ﷺ إلا دخل في الإسلام ، ومامات النبي ﷺ وأحد منهم يظهر الكفر)[2]

والحمدلله الذي أظهر دينه على كل دين ، وهدى الناس إلى الإسلام ، فدخلوا في دين الله أفواجا .

وهذا آخر الباب الثالث ، نحمده تعالى على عونه وتوفيقه ، وصلى الله تعالى وسلم على أفضل خلقه ، سيد الأنبياء والمرسلين ، محمد بن عبدالله ، الصادق الأمين ، وعلى آله الطاهرين ، وصحابته الراشدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعلينا معهم وفيهم ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) خرجه الهيثمي ، في مجمع الزوائد (٥ / ٣٢٨) ، وقال : «رواه أحمد ، والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد ، رجال الصحيح ، غير ابن اسحاق ، وقد صرح بالسماع ، وأخرج نحوه البيهقي في سننه ، عن أبي عبيدة بن الجراح» ، وأورده الإمام السيوطي في الجامع الصغير وأوله «كان آخر ماتكلم به أن قال...» ، وخرجه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) ، حديث رقم (٤٦١٧) ، وقال : صحيح .

(٢) ١ / ١٣ .

الخاتمة

نسأل الله حسنها -

الحَمدُللَّه رَبِّ العَالَمينَ ﴿ **غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّولِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيهِ الْمَصِيرُ** ﴾[1] .

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الراشدين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، لقد تحدثنا وأطلنا الحديث في التوبة ، وبيان فضائلها ، والحث عليها والمبادرة بها فور وقوع الخطأ ، والمداومة عليها في جميع الأوقات ، لأهميتها البالغة ، وكما وردت الآيات والأحاديث في ذلك كله .

وقد حذر الله تعالى عباده عن الإعراض عن التوبة ، كما نهى عباده عن الوقوع في اليأس والقنوط ، في كتابه العزيز ، و على لسان رسوله الكريم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

قال تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[2] .

وأخرج البزار في مسنده ، عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما الكبائر ؟ قال : « **الشِّركُ بِاللَّهِ ، وَالإِيَاسُ مِن رَوحِ اللَّهُ ، وَالقُنُوطُ مِن رَحمَةِ اللَّهِ** »[3] .

وعن ابن مسعود ، قال : « **الكبائر الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله** » ، وفي رواية « **أكبر الكبائر** »[4] .

(١) ٣ / غافر .

(٢) ١١ / الحجرات .

(٣) خرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ١٠٩) ، باب في الكبائر ، وقال : «رواه البزار ، والطبراني ورجاله موثوقون» ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ، حديث رقم (٦٤٥١) فيض القدير ، قال المناوي : «رمز المصنف لحسنة ، قال الزين العراقي في شرح الترمذي إسناده حسن» . وخرجه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) ، حديث رقم (٤٦٠٣) وقال : حسن ، كما خرجه في (السلسلة الصحيحة) ، ٢٠٥١ .

(٤) خرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد) ، ١ / ١٠٩ ، قال : وإسناده صحيح .

واقرأ قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام : ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ** ﴾[1] ، وعن إبراهيم عليه السلام : ﴿ **وَمَن يَقْنَطُ مِن رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ** ﴾[2] .

وقد تقدم بيان ما في اليأس والقنوط من الأضرار على الفرد والمجتمع في شؤونه الدنيوية والأخروية .

وقد تقدم أن الله تعالى واسع الرحمة ، رحمته وسعت كل شيء .

والتوبة كما تقدم من أعظم مظاهر رحمته سبحانه وتعالى ، ومن رحمته جل علاه أنه جعل الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها ، ومن رحمته وحلمه تبارك وتعالى أنه لايعجل بالعقوبة ، بل يمهل عباده المذنبين حتى يتوبوا ويرجعوا إليه سبحانه وتعالى ، ومن رحمته جل وعلا أنه جعل سرائر عباده موكولة إليه ولم يطلع عليها أحدا ، وأمر عباده أن يتعاملوا فيما بينهم بظواهر أحوالهم ، وتفويض سرائرهم إلى خالقهم ، جل وعلا .

وتتجلى رحمته سبحانه وتعالى بعباده ، حين يجيب المضطر إذا دعاه .

واستحضر معي ما صوره لنا القرآن الكريم في عدة آيات من أحوال بعض الناس ، إذا أصابهم الضر دعوا الله تعالى ، وأخلصوا الدعاء له ، ولو كانوا كافرين ، فيجيبهم الله سبحانه وتعالى ، عند ضرورتهم وإخلاصهم ، مع علمه سبحانه وتعالى بأنهم سيعودون إلى شركهم .

واقرأ قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُم فِي البَرِّ وَالبَحرِ . حَتَّى إِذَا كُنتُم فِي الفُلكِ . وَجَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوجُ**

---

(١) ٨٧ / يوسف .

(٢) ٥٦ / الحجر .

مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُم أُحِيطَ بِهِم دَعَوُا اللَّهَ مُخلصينَ لَهُ الدِّينَ . لَئِن أَنجَيتَنَا مِن هَذِه لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَنجَاهُم إِذَا هُمْ يَبغُونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقِّ ﴾[1] .

وغير هذه الآيات وبخاصة (٦٥ / العنكبوت) و (٣١ و ٣٢ / لقمان) ، وأحاديث كثيرة ، كلها تؤكد أن الله تعالى ، فضله وكرمه ورحمته ، لا تتناهى وأنها أكثر وأوسع مما يتصوره عقل الإنسان .

(١) ٢٢ - ٢٣ / يونس .

الرجاء مع الخوف

الرجاء والخوف يتلازمان ، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة ، تشتمل على الوعد والوعيد ، المقتضيين للرجاء والخوف ، والغالب في القرآن الكريم ذكر الترغيب والترهيب مقترنين .

ويطلق الرجاء على الخوف ، ومنه قوله تعالى : (**مالكم لا ترجون لله وقارا**)[١] ، أي لا تخافون من بأسه ونقمته[٢] ، ومن أقوال أئمة التفسير في هذه الآية (مالكم لا ترجون لله ثوابا ، ولا تخافون منه عقابا)[٣] .

ومن الآيات الكريمة في الرجاء والخوف ﴿ **نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ** ﴾[٤] ، ﴿ **اعلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[٥] ، ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلمِهِم . وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ العِقَابِ** ﴾[٦] .

ومن الأحاديث الشريفة في ذلك ، ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحمَةَ يَومَ خَلَقَهَا مائَةَ رَحمَةٍ ، فَأَمسَكَ عِندَهُ تِسعاً وَتِسعِينَ رَحمَةً ، وَأَرسَلَ فِي خَلقِهِ كُلِّهِم رَحمَةً وَاحِدَةً ؛ فَلَو يَعلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِندَ اللَّهِ مِن**

(١) ١٣ / نوح .
(٢) تفسير ابن كثير (٤ / ٤٢٥) .
(٣) فتح القدير (٥ / ٢٨٩) .
(٤) ٤٩ - ٥٠ / الحجر .
(٥) ٩٨ / المائدة .
(٦) ٦ / الرعد .

الرَّحمَةِ لَم يَيأس مِن الجَنَّةِ ، ولَو يَعلَمُ المُسلِمُ بِكُلِّ الَّذي عِندَ اللَّهِ مِن العَذَابِ لَم يأمَن مِنَ النَّارِ» ، هذا لفظ البخاري ، وقد ترجم له بقوله : (باب الرجاء مع الخوف)[1] .

وأخرجه مسلم في حديثين ، بلفظ «**خلق الله مائة رحمة** ...» الحديث[2] ، والآخر بلفظ «**لَو يَعلَمُ المُؤمِنُ مَا عندَ اللَّه من العُقُوبَة ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِه أحَدٌ . ولَو يَعلَمُ الكَافِرُ مَا عِندَ اللَّهِ مِنَ الرَّحمَةِ ، مَا قَنَطَ مِن جَنَّتِهِ أحَدٌ**»[3] .

والمقصود من هذه الآيات والأحاديث ، أن المسلم ينبغي له أن يكون دائما بين الخوف والرجاء ، حتى لا ينتهي به الرجاء إلى الإجتراء على ارتكاب المعاصي ، واستباحة المحرمات ، ولا ينتهي به الخوف إلى اليأس والقنوط ، وجميع هذه الخصال من الكبائر ، كما تقدم .

بل الخير للمسلم أن يكون وسطا بين الرجاء والخوف ، كما قال تعالى : (**يَرجُونَ رَحمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**)[4] ، فيكون بين الرجاء الذي يحمله على العمل ، وحسن الظن بربه ، والخوف الذي يبعده عن التقصير ، ويزجره عن المخالفة .

---

(١) حديث رقم (٦٤٦٩) ، فتح الباري .
(٢) حديث رقم (١٨ - ٢٧٥٢) ، كتاب التوبة .
(٣) حديث رقم (٢٣ - ٢٧٥٥) .
(٤) ٥٧ / الإسراء .

وينبغي للمسلم أن يتذكر دائما أن الطاعة موصلة إلى الجنة ، وأن المعصية مقربة إلى النار ، وأن الطاعة والمعصية قد يكونان في أيسر الأشياء ، وفي هذا المعنى ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**إِنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ من رضوان الله لا يُلقي لَهَا بَالاً يرفَعهُ اللهُ بِهَا دَرَجَات**

وَإِنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللهِ لا يُلقِي لَهَا بَالاً يَهوِي بِهَا في جَهَنَّمَ»[1]

واقرأ قوله تعالى : (**فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَه . وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ**)[2] .

وهذا آخر البحث ، والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات .

(**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذنَا إِنْ نَسِينَا أَو أَخطَأنَا . رَبَّنَا وَلا تَحمِل عَلَينَا إِصراً كَمَا حَمَلتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبلِنَا . رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ . وَاعفُ عَنَّا وَاغفِر لَنَا وَارحَمنَا . أَنتَ مَولانَا فَانصُرنَا عَلَى القَومِ الكَافِرِينَ**)[3] .

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

صنعاء في يوم الجمعة

١٥ رمضان المبارك ١٤١٧هـ

الموافق ٢٤ يناير ١٩٩٧م .

---

(١) حديث رقم (٦٤٧٨) ، فتح الباري ، كتاب الرقاق .

(٢) ٧ - ٨ / زلزال .

(٣) ٢٨٦ / البقرة .



ثبت المصادر والمراجع

القرآن المجيد وعلومه :

(١) المصحف الكريم .

أسباب النزول :

(٢) لباب النقول في أسباب النزول ، ت : جلال الدين السيوطي ، ط : مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٤ هـ .

(٣) الصحيح المسند في أسباب النزول ، ت : مقبل بن هادي الوادعي ، ط : دار إبن حزم .

التفسير :

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ت : أبي جعفر ابن جرير الطبري ، ط : دار المعرفة ، بمصر ، ١٩٥٨م .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، ت : أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ط : دار الكاتب العربي ، بمصر ، ١٣٨٧هـ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ، ت : أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، ط : عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧١هـ .

(٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ت : محمد بن علي الشوكاني ، ط : مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥١هـ .

(٨) تفسير المنار، ت : السيد محمد رشيد رضا، ط : دار المنار، ١٣٦٨هـ .

(٩) في ظلال القرآن، ت : سيد قطب، ط : مطابع الشروق، القاهرة، ١٤٠٠هـ .

(١٠) التفسير الواضح، ت : محمد محمود حجازي، ط : مطبعة الإستقلال الكبرى، مصر، ١٩٦٤م .

(١١) صفوة التفاسير، ت : محمد علي الصابوني، ط : دار القلم، بيروت، ١٤٠٦هـ .

الحديث الشريف وعلومه :

الكتب الستة : (الصحيحان والسنن الأربعة)

(١٢) صحيح البخاري، ت : أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري .

(١٣) (شروحه) : فتح الباري، ت : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط : المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ .

(١٤) عمدة القاري، ت :بدر الدين محمود العينيُ، ط : مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٢هـ .

(١٥) إرشاد الساري، ت : أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، ط : المطعبة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٠٤هـ .

(١٦) صحيح مسلم، ت : أبي الحسين مسلم بن الحجاج، ط : عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٤هـ .

(١٧) (شرحه) : ت : أبي زكريا يحي بن شرف النووي، ط : المطبعة المصرية، ١٣٤٩هـ .

(١٨) سنن أبي داود ، ت : أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ط : مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٦٩هـ .

(١٩) (شرحه) : بذل المجهود ، ت : خليل أحمد السهارنفوري ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢٠) (صحيحه) : ت : محمد ناصر الدين الألباني ، ط : المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٩هـ .

(٢١) سنن النسائي ، ت : أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي .

(٢٢) (شرحاه) : زهر الربى في شرحه المجتبى ، ت : جلال الدين السيوطي .

(٢٣) حاشية على سنن النسائي ، ت : محمد بن عبدالهادي السندي ، ط : (طبع الشرحان مع السنن) بالمطبعة الميمنية ، القاهرة ، ١٣١٢هـ .

(٢٤) (صحيحه) : ت : محمد ناصر الدين الألباني ، ط : المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

(٢٥) سنن الترمذي ، ت : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي.

(٢٦) (شرحاه) : تحفة الأحوذي ، ت : محمد عبدالرحمن المباركفوري ، ط : دار الفكر .

(٢٧) عارضة الأحوذي ، ت : الإمام ابن العربي المالكي ، ط : المطبعة المصرية بالأزهر ، ١٣٥٠هـ .

(٢٨) سنن ابن ماجه ، ت : أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، ط : عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧٢هـ .

(٢٩) (حاشيه عليه) : ت : محمد بن عبدالهادي السندي ، ط : المطبعة التازية ، مصر ، ١٣٤٩هـ .

(٣٠) (صحيحه) : ت : محمد ناصر الدين الألباني ، ط : المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

المسانيد - والجوامع - وغيرها :

(٣١) مسند الإمام أحمد ، ت : أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل ، ط : المطبعة الميمنية ، مصر ، ١٣١٣هـ .

(٣٢) مسند أبي داود الطيالسي ، ت : سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي .

(ترتيبه) : «منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود» ، ت : الساعاتي أحمد عبدالرحمن البنا ، ط : المطعبة المنيرية بالأزهر ، ١٣٧٢هـ .

(٣٣) شرح معاني الآثار ، ت : أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ، ط : مطبعة الأنوار المحمدية ، ١٣٨٨هـ .

(٣٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ت : محمد ناصر الدين الألباني ، ط : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ .

(٣٥) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، ت : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي .

(٣٦) (شرحه) : فيض القدير ، ت : عبدالرؤوف بن علي المناوي ، ط : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٥٦هـ .

(٣٧) (صحيحه) : صحيح الجامع الصغير ، وزيادته ، (الفتح الكبير : للنبهاني) ، ت : محمد ناصر الدين الألباني ، ط : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ .

(٣٨) مشكاة المصابيح ، ت : ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط : المكتب الإسلامي ، ١٣٨٠هـ .

(٣٩) (شرحه) : مرقاة المفاتيح ، ت : علي بن سلطان محمد القاري ، ط : دار أحياء التراث .

(٤٠) منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ، ت : مجدالدين عبدالسلام بن عبدالله ، ابن تيمية .

(٤١) (شرحه) : نيل الأوطار ، ت : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ط : مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧١هـ .

(٤٢) بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، ت : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط : دار الفكر .

(٤٣) رياض الصالحين ، ت : محي الدين أبي زكريا يحي ابن شرف النووي.

(٤٤) (شرحه) : دليل الفالحين ، ت : محمد بن علان الصديقي ، ط : مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٤هـ .

(٤٥) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، ت : زكي الدين عبدالعظيم المنذري ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .

المستدركات - والزوائد - والتخريجات :

(٤٦) المستدرك على الصحيحين ، ت : أبي عبدالله حمد بن عبدالله - الحاكم النيسابوري .

(٤٧) (تلخيصه) : ت : أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي ، ط : دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٣٥هـ .

(٤٨) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ت : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، ط : مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .

(٤٩) نصب الراية لأحاديث الهداية ، ت : جمال الدين ابن محمد عبدالله بن يوسف الزيعلي ، ط : إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٣هـ .

(٥٠) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، ت : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط : دار المعرفة ، ١٣٨٤هـ .

(٥١) تخريج تفسير الطبري (جامع البيان) ، ت : محمود محمد شاكر ، ط : دار المعرفة ، بمصر ، ١٩٥٨م .

(٥٢) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ، ت : زين الدين أبي الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي ، ط : دار المعرفة ، بيروت (المغني عن حمل الأسفار) .

علوم الحديث ومصطلحه :

(٥٣) معجم مصطلحات توثيق الحديث ، ت : د . علي زوين ، ط : مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

(٥٤) معرفة علوم الحديث ، ت : أبي عبدالله محمد بن عبدالله ، الحاكم النيسابوري ، ط : المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت .

(٥٥) الكفاية في علم الرواية ، ت : الخطيب البغدادي ، أبي بكر أحمد بن علي ، ط : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٩هـ .

(٥٦) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير ، ت : محي الدين بن شرف النووي ، ط : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ

(٥٧) (شرحه) : تدريب الراوي ، ت : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، ط : مكتبة القاهرة ، مصر ، ١٣٧٩هـ .

(٥٨) مقدمة ابن الصلاح (علوم الحديث) ، ت : ابن الصلاح أبي عمرو عثمان بن عبدالرحمن ، ط :

(٥٩) إختصار علوم الحديث ، ت : أبي الفداء إسماعيل بن كثير .

(٦٠) (شرحه) الباعث الحثيث ، ت : أحمد محمد شاكر ، ط : دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

(٦١) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ، ت : الحافظ ابن حجر العسقلاني .

(٦٢) (شرحه) نزهة النظر ، ت : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط : مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤٠٦هـ .

(٦٣) (حاشية على الشرح) لقط الدرر ، ت : عبدالله بن حسين خالد السمين ، ط : مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٦هـ .

(٦٤) (مختصراه) قفو الأثر في صفو علوم الأثر ، ت : ابن الحنبلي ،رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي .

(٦٥) بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب ، ت : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، ط : دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

(٦٦) رفع الإستار عن محيا مخدرات طلعة الأنوار ، ت : حسن محمد المشاط ، ط : عيسى البابي الحلبي ، ١٣٩٨هـ .

(رفع الإستار : هو شرح «طلعة الأنوار في / علم آثار النبي المختار» صلى الله عليه وسلم ، وهو : «مختصر ألفية العراقي») .

(٦٧) النخبة النبهانية شرح المنظومة البيقونية ، ت : محمد بن خليفة بن حمد النبهاني الطائي ، ط : مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٧هـ .

(٦٨) علوم الحديث ومصطلحه ، ت : د . صبحي الصالح ، ط : دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٤هـ .

(٦٩) منهج النقد في علوم الحديث ، ت : د . نورالدين عتر ، ط : دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٩هـ .

(٧٠) قواعد في علوم الحديث ، ت : ظفر أحمد العثماني التهانوي ، ط : شركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٤هـ .

التاريخ - والسير - والتراجم :

(٧١) السيرة النبوية ، ت : ابن هشام ، أبي محمد عبدالملك الحميري ، ط : مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٥هـ .

(٧٢) الإصابة في تمييز الصحابة ، ت : الحافظ ابن حجر العسقلاني .

(٧٣) الإستيعاب في أسماء الأصحاب ، ت : ابن عبدالبر ، أبي عمر يوسف بن عبدالله . ط : المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٥٨هـ .

(٧٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ت : ابن الأثير ، عزالدين أبي الحسن علي بن محمد ، ط : الشعب ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ .

(٧٥) البداية والنهاية ، ت : ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

(٧٦) الطبقات الكبرى ، ت : ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري ، ط :

دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٧٧هـ .

(٧٧) ميزان الإعتدال في نقد الرجال ، ت : الذهبي ، أبي عبدالله محمد بن أحمد ، ط : عيسى البابي الحلبي ، ١٣٨٢هـ .

(٧٨) تهذيب التهذيب ، ت : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ط : حيدر أباد ، الهند ، ١٣٢٥هـ .

(٧٩) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ت : المزي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف ، ط : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ .

(٨٠) الإغتباط بمعرفة من رمي بالإختلاط ، ت : سبط ابن العجمي ، برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن خليل ، ط : دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

(٨١) كتاب الضعفاء الصغير ، ت : البخاري ، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل .

(٨٢) كتاب الضعفاء والمتروكين ، ت : النسائي ، أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب ، ط : دار الوعي ، حلب ، ١٣٩٦هـ .

(٨٣) كتاب الضعفاء والمتروكين ، ت : الدار قطني ، أبي الحسن علي بن عمر ، ط : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .

(٨٤) كتاب الضعفاء الكبير ، ت : العقيلي ، أبي جعفر محمد بن عمرو ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .

الفقة - والعقائد :

(٨٥) المحلى بالآثار ، ت : ابن حزم الأندلسي ، أبي محمد علي بن أحمد ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

(٨٦) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، ت : محمد صالح العثيمين ، ط : دار الهجرة ، صنعاء ، ١٤١٠هـ .

بحوث خاصة :

(٨٧) النبي الخاتم ، ت : السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، ط : المجمع الإسلامي العلمي ، الهند ، ١٣٩٩هـ .

(٨٨) إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة ، ت : محمد العربي بن التباني السطيفي المغربي ، ط : مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٦٨هـ .

(٨٩) كتاب النهي عن سب الأصحاب ، وما فيه من الإثم والعقاب ، ت : ضياء الدين المقدسي محمد بن عبدالواحد ، ط : الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .

(٩٠) الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول ، ت : بحرق ، محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي ، ط : مطبعة المدني ، ١٣٨٦هـ .

(٩١) ثعلبة بن حاطب ، الصحابي المفترى عليه ، ت : عداب السيد محمود إبراهيم الحمش ، ط : دار بدر ، الرياض ، ١٩٨٦م .

(٩٢) الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه ، ت : أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي ، ط : دار عمار للتوزيع والنشر ؛ الأردن ، ١٤٠٥هـ .

(٩٣) حديث «ياويح ثعلبة» ، دراسة نقدية ، ت : د . الطاهر محمد الدرديري ، ط : دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤٠٨هـ .

(٩٤) المنهل اللطيف في أحكام الحديث الضعيف ، ت : علوي بن السيد عباس المالكي ، مكة المكرمة ، ط :

(٩٥) النقد الصحيح لما اعترض عليه من أحاديث المصابيح ، ت : العلائي ، صلاح الدين أبي سعيد خليل ين كيكلدي ، ط : دار الإمام مسلم ، بيروت ، ١٤١٠هـ .

(٩٦) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، ت : أبي الحسنات محمد عبدالحي اللكنوي ، ط : مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٧هـ .

رقم الإيداع لدى دار الكتب - صنعاء
١٠٥ / ١١ / ١٩٩٧


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هذا الكتاب :

الصحابة رضي الله تعالى عنهم هم سادة هذه الأمة وحماة الإسلام وحملة ونقلة الدين والشريعة .

ومن ثم أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على عدالة الصحابة ونزاهتهم ، وقد ثبت ذلك بالعديد من الآيات والأحاديث ، ولهذا وجب حبهم وتعظيمهم وحرم التعرض لهم بسوء.

وقد شاعت في الناس وذاعت كثير من المفاهيم الخاطئة ، ومسائل ملتبسة في موضوعنا هذا .

وهذا الكتاب يجمع ما تفرق في المطولات والمجلدات من الآيات والأحاديث وآثار السلف المتعلقة بفضائل الصحابة ، بمختلف مضامينها تعريفا بهم وبحقوقهم ، وتبياناً لفضائلهم ، واظهاراً لمنزلتهم عند الله تعالى وعند رسوله صلي الله عليه وسلم بطريقة مبسطة ومبينة ومشروحة .

وفي الكتاب كذلك موضوعات شتى كثر الجدال فيها في هذا العصر سيجد القارئ الكريم الإجابة الكافية الشافية لها إن شاء الله تعالى .

ويكفي هذا الكتاب فضلاً - ولله الحمد والمنة - ما يلقاه هذه الكتاب من القبول والرضا عند العلماء والمحققين ، وما يقابله من البشاشة والإطمئنان لدى الباحثين والدارسين ، وسيلمس القاريء الكريم ذلك عند إطلاعة على أقوال العلماء الكرام الذين تفضلوا مشكورين بتقديم وتقريظ هذا الكتاب .

المؤلف

دار المجد للطباعة والنشر - صنعاء ت : ٢٢٨٩٩٤